9me Année No. 405

Lundi - 7 - 4 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ ف مصر والسودان
٨٠ ف الأقطار العربية
١٠٠ ف سائر الممالك الأخرى
١٢٠ ف العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

اوهمونات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — الموافق ٧ أبريل سنة ١٩٤١ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة		
٤٩٣	عود إلى الفكر و« السلطة »	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٤٩٦	نساؤنا بين التقاليد والتجديد	الدكتور منصور فهمى بك ...
٤٩٩	الأندية العربية فى العراق	الدكتور زكى مبارك ... ...
٥٠٣	فى المقهى	لأستاذ جليل ... ...
٥٠٦	يكفى التراث الشرقى لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين	الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٥٠٩	الغناء والموسيقى وحالهما فى مصر والشرق	الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
٥١٣	من وراء المنظار	الأستاذ محمود الخفيف ...
٥١٤	ميلاد نبى ... [قصيدة]	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٥١٥	دراسة اجتماعية لبعض قبائل السودان	الدكتور محمد محمود غالى ...
٥١٦	تعقيب على مقال	الأستاذ (ا . ع) ... ...
	نصيب السودان من جهاد الديمقراطية	الأديب عبدالله عبد الرحمن ...
٥١٧	جريدة الاصلاح فى عامها الخامس	... ...
	« مكتوب على الجبين » للأستاذ محمود تيمور ...	الأديب طه عبد الحميد الكيمى
٥١٨	الهذيان ... ... [قصة]	الأستاذ نجيب محفوظ ...

عود إلى الفكر و« السلطة »

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

راجعنى الأديب إلياس إبراهيم بدوى فيما كتبت بالرسالة منذ أسابيع عن « الفكر والسلطة » ، وكتب إلىّ يقول :

« اسمح لى بأن أضيف إلى الأسباب الأربعة التى ذكرتها فى إيضاح الدافع إلى طلب السلطة سبباً خامساً ، وإن لم يكن بسبب ، فهناك أناس يطلبون السلطة كحق من حقوقهم الموروثة أو تقليد من تقاليد الأسرة التى لا يليق بهم التخلى عنها . ولعل هذا السبب أبرز الأسباب نتائج من حيث طلب السلطة ، ليس فى هذا البلد وحده ، بل فى جميع البلدان بوجه عام »

وأتبع ما تقدم بقوله : « وكان لا بد أن ينشأ عن هذا السبب سبب سادس معاكس له : سبب يدفع بالرجل الموهوب ذى الشخصية العارمة والإرادة المدربة إلى النظر إلى مثل أولئك الأفراد المتهافتين على السلطة نظرة متعالية ، نظرة من يعتقد مخلصاً أنه أحق بها منهم إذا كانت الغاية من الحصول على السلطة استخدامها فى بناء مجد للوطن . وإن مثل هذا الرجل ليعتبر فى رأيى خائناً لرسالة ممتازة خلق لها إذا لم يعمل على نيل الأداة التى يمكنه بها إبراز مواهبه وممكناته وقدرته على الخلق والإبداع . وما قيمة المتعة الفكرية أو الذوقية إذا لم يستطع الرجل أن يستثمر قدرته البناءة بمطلق طاقته وحيويته »

ثم يقول الأديب : « أما صاحبنا « ديزرائيلي » ، فلم أذكر اسمه نموذجاً ، بل ذكرته عرضاً كرجل كانت له نفسية الأديب ودقة إحساسه بالحياة ، ودفق إلى كشف عناصر القوة فى نفسه فسخرها فى سبيل بلوغ المنصب الأعلى للحكم ... وربما كان فى التاريخ الأمريكى والبريطانى والفرنسى كثير ممن يصح أن يتخذوا أمثالاً . وربما كان عندنا هنا من يصح أن يذكر فى معرض التمثيل . غير أن عدم وجود أمثال لا يمنع من خلق أمثال وابتداع خطط جديدة فى الحياة والعمل »

ثم يقول فى ختام خطابه : « فإذا كنت تعتقد أنه لا يمكن الجمع بين الأدب والإدارة فهذا رأيك وأنت حر فيما ترى . ولئن كنت أشك فى صحة هذا الاعتقاد فما يعزز شكى ما قرأته لك فى رجعة أبى العلاء فى معرض كلامك عما كان يساور أبا العلاء من طموح إلى السلطان لولا ظروفه الجسمية الخاصة التى حالت بين عقله الكبير وما أراد . وهو القائل :

ولم أعرض عن اللذات إلا لأن خيارها عنى خفسته »

* * *

ويلوح من خطاب الأديب أن صاحبه ممن يحبون الاستدراك لمحض الاستدراك ، وهو طبع فى غير قليل من الناس

فنحن نقول إن أسباب طلب السلطة هى فطرة الرياسة ، أو حب الامتياز ، أو اتقاء شرور المسيطرين ، أو الرغبة فى تسخير الأداء الحكومية للإصلاح ، فيأتى صاحب الخطاب بسبب خامس هو ميراث السلطة عن الآباء والحرص على بقائها فى الأسرة ! كأنما هذا السبب لا ينتهى إلى واحد من الأسباب الأربعة التى قدمناها ! أو كأننا حين نقول إن الناس يرثون البيوت ننفى أن البيوت تبنى للسكنى ، أو كأننا حين نعلم أن الناس يصنعون الطعام ليبيعوه ننفى أن نهاية الطعام هى الغذاء سواء صنع فى الأسواق أو صنع فى الدور

فالناس لا يحبون أن يرثوا السلطة إلا لأنها تكفل لهم غرضاً من الأغراض التى قدمناها . وإلا فما بالهم لا يحرصون على وراثة المسكنة من آبائهم الساكنين ؟ وما بالهم لا يحتفظون فى الأسرة بالديون والمغارم والوصمات ؟

إنما يحرصون على بقاء السلطة فى ميراثهم لأنها مطلب محبوب ، وإنما هى مطلب محبوب للأسباب التى قدمناها لا لأنها تركة موروثة عن الآباء

أما أن المفكر النابغ مفروض عليه طلب السلطان ، فهذا خلاف للواقع ، وخلاف للقياس المطرد فى « تطور » الملكات .

ففى الواقع لم يوجد قط مفكر موهوب وعبقرى مثمر فى عالم الفنون تخلى عن الفكر والفن ليطمح إلى الحكم وإدارة الدواوين

وقبل أن يوجّه إلينا الأديب خطابه الأول كنا نكتب « هتلر فى الميزان » فقلنا من فصل عن كفاءته الذهنية : « إن الحقيقة الراسخة من وراء كل جدل وكل مراء هى أن الفنان الموهوب لن يترك فنه ليعقد مصيره بالسياسة وغيرها من المطالب كائناً ما كان نصيبه منها ، لأن الهبة الفنية كالوظيفة العضوية التى لا تقبل الإهمال ، ولا تزال فى إلحاحها على صاحبها كالهيام القلبى فى إلحاحه على العاشق المتلهف بالحياة ، فلا هو بمنفل عنها ولا هى تمهله إلى زمن طويل

« وهذه الحقيقة وحدها بمنجوة عن جميع الأقاويل وجميع الأسانيد . هى الحكم الحاسم فى كفاءة هتلر الفنية ، أو فيما يدعيه من مواهب التصوير والبناء . فهى لن تعدو الطبقة الوسطى بحال ، ولن تتجاوز نصاب التذوق الشائع بين مصطنعى النقد والموازنة فى الفنون »

فهذا رأى قديم لنا نبنيه على الواقع كما نبنيه على المعقول ، لأن التاريخ لم يذكر لنا قط اسماً واحداً من أسماء المبافرة الفنيين طلّق الفن ليحكم الناس ويطلب السلطة . وليس بمعقول أن تمنعه السلطة كما يمنعه المخلق فى عالم الفنى الذى يصرفه تكوينه إليه .

وهذا الرأى مطابق لسنة التطور التى تنتقل من الجمع إلى التوزيع ، من حصر الملكات إلى انتشارها فى عقول كثيرة .

فاتفق فى زمن من أزمان الهمجية أن حاكم القبيلة كان حكيمها وساحرها وكاهنها وطبيبها وحافظ تاريخها . فهو فيها جامع لوظيفة السياسة ووظيفة الدين ووظيفة العلم ووظيفة الفن والثقافة ، ثم انقضى هذا العهد وتوزعت الملكات وأصبحت كل وظيفة من هذه الوظائف شعباً لا تحصى ومقدرة يستعصى الجمع بينها وبين غيرها ، ولا يؤدى هذا الجمع إلى مصلحة للنابغ ولا للمنتفعين بنبوغه

وبعد هذه الدهور المتطاولة يأتى من يزعم أن إعراض المفكرين وعباقرة الفن عن طلب الحكم خيانة لأمانة النبوغ إذا كانوا يستخدمون السلطة فى بناء مجد الوطن ... ويسأل :

ما قيمة المتعة الفكرية أو الذوقية إذا لم يستطع الرجل أن يستثمر قدرته البناءة بمطلق طاقته وحيويته ؟

فما قيمة الحياة نفسها بغير متعة فكرية أو ذوقية ؟ وما قيمة مجد الوطن إذا خلا من المفكرين والمبافرة الذين يعيشون ويموتون للفكر ، ويعيشون ويموتون لمتاع الأذهان والأذواق ؟ أكل مجد الوطن إذن فى رفع الأيدى بالسلام ، ودق الأرض بالأقدام ، وخطوة إلى الوراء وخطوة إلى الأمام ، وتفرّج على السلطة ومواكب السلطة أيام الزحام ؟

أهذا هو مجد الوطن الذى يخونه أمناء الفكر والذوق لأنهم لا يتطلعون إلى السلطة ولا يتحولون جميعاً إليها كلما وفر عندهم نصيب الفكر والذوق ؟

إن كان الأديب يخال أن المفكر الصادق التفكير لن يشعر بالامتياز إلا وهو متسلط فى الحكومة ، ولن يقعد عن طلب التسلط فى الحكومة إلا لأنه عاجز عنه ، فهو بعيد كل البعد عن دخائل العظمة الفكرية التى هى عظمة لا شك فيها وإن لم يكن لها فى الحكم سلطان

لكنّ العجب فى هذا أن الزهو بالعقول شائع بين جمهرة الناس ، فكيف يفوت الأديب صاحب الخطاب أن يفطن إلى زهو العقول العالية التى تشعر بما لها من الرجحان ؟

يقولون فى أمثالنا الدارجة إن الخلق غضبوا عند قسمة الأرزاق فأرضاهم القدر بقسمة العقول ، فما منهم إلا راض عن عقله وإن سخف وإن ضاق

وتعليل ذلك قريب ، فإن الأرزاق تنتقل من مالك إلى مالك، فللطمع فيها معنى مفهوم ؛ أما العقول فلا تنتقل من أصحابها إلى غير أصحابها ، فليس للطمع فيها معنى غير الإقرار بالقصور ، والحرمان من لذة الغرور

ومنزى المثل كما يقولون أن رضى الإنسان بعقله سهل مألوف فى جميع الطبائع البشرية ، فكيف بالعقل الذى يعلم ما عنده وما عند غيره علماً ليس بالدعوى ولا بالغرور ؟ أليس خليقاً بامتيازه المرضىّ عنه أن يغنيه عن طلب الامتياز من طريق ولاية الأحكام ؟

قلنا فى كتابنا رجعة أبى العلاء : « إن أبا العلاء كان لا يرضى من الدنيا إلا بالسيادة عليها أو بالإعراض عنها . فإما الملك وإما الرهبانية ولا توسط عنده بين الأمرين . فلا يحسبن أحد أن فكرة الملك عارضة فى ذهنه كما يعرض الخاطر فى خلد الشاعر ، فإن للمجد الدنيوى لنزعة مكبوتة فى قرارة ضميره يدل عليها شعره ونثره ، ولا تزال غالبة عليه فى جنبات الأهواء وفلتات اللسان . فسرعان ما يثب إليها كلما عرضت لها لمحة ظهور »

وقد ظن الأديب صاحب الخطاب أن ما قررناه هنالك شذوذ مما نقرره فى كلامنا عن الفكر والسلطة ، وما به فى الحقيقة من شذوذ ؛ فالحنين إلى السيطرة فى نفس أبى العلاء إنما هو تعبير عن جانب الحرمان من تلك النفس وليس بالتعبير عن جانب الامتياز والرجحان

وليس الوجه كما فهم الأديب أن أبا العلاء كان يزداد طلباً للسلطان لو أبصر وملك القوة الجسدية ، ولكنّ الوجه أنه كان يقلع عن هذا الطلب لو زال عنه شعور الحرمان الذى داخله من كبريائه مع فقد بصره ووهن جسده . فيغلب عليه جانب الثقة والامتياز

وأى عجب فى تداخل النزعات واشتباكها فى جميع النفوس الآدمية ؟ ألا يوجد بين ذوى السلطان من يحب أن يشتهر بالكتابة فينتحل ما يكتبه له الكاتبون وليس هو بأديب ؟ أفمن أجل ذلك نقول إن الملكة الأدبية لاصقة بكل حاكم وكل أمير وكل طامع فى الشهرة بالمنثور والمنظوم ؟

ومن الخطأ أن نزعم أن أبا العلاء قد عكف على التفكير لأنه لم يظفر بالملك والإمارة ؛ فإن التفكير ليس بالمنحة « الاحتياطية » التى تجود بها الطبيعة على من فاتته المنح الأخرى ، ولكنها منحة أصيلة من رزقها فكر ومن لم يرزقها لم يفكر وإن أراد . وغاية ما هنالك أن المفكر المتكبر المحروم يمثل حرمانه فى آماله ودخائل وجدانه شوقاً إلى الغلبة والبأس والولاية ، وهو شوق لا يعد من الملكات ولا من النزعات التى يقاس عليها فى غير هذه الحال

وجملة الرأى أن حاجة الحاكم إلى الفكر كحاجة كل عامل إليه ، فلا يلزم من ذلك أن يشتغل المفكرون بجميع الأعمال لأن جميع الأعمال تحتاج إلى تفكير

على أن الحكم إلزام والفكر إقناع ، وإذا بلغ الإقناع مداه ألزم الحاكمين أن يستمعوا له فكان سلطة فوق السلطة فى هذا المقام

عباس محمود العقاد

في المصادر والأصول

نساؤنا بين التقاليد والتجديد

لصاحب العزة الدكتور منصور فهمي بك

مدير عام دار الكتب المصرية

مقدمة

من الدقة أن يرى بحثنا إلى تناول أحوال المرأة المصرية المعاصرة، لأن فينا من مد له في العمر فتيسر له أن يصف مسلك نسائنا في فترة محصورة من الزمن، لعلها البرزخ الفاصل بين ما كانت تجري عليه أحوال النساء عند السلف القديم، وبين ما أصبحن عليه الآن، وما قد يصرن إليه في مستقبل الأيام.

وإني، مع حرصي الشديد على تضييق مجال البحث وحصره، قد أتعرض للماضي أحياناً في نظرة خاطفة، لأجلي فيه بعض المعالم التي ترسمها المرأة المصرية في مسيرها لكي تتبين: ألا يزال الدرب الذي تعدو الآن فيه موصولاً بالطريق الذي سلكته عدة قرون؟ أم أصبح مسيرها مقطوع الصلة بماضيها القريب والبعيد؟ ولعل المرأة حين اتخذت أسلوبها الجديد، أخذت تتعرض لمنحدر كثير الزلل والخطر. وإني حين أعنى بالبحث في أحوال نسائنا، إنما أعنى بحملة الرسالة الكبرى في تشييد أركان الهناء في الحياة، بل بحملة سر الرحمن وكلمته في بذل المحبة والرحمة والسلام.

وإني إذ أثير اليوم موضوع المرأة المصرية بين التقاليد والتجديد، إنما أثير موضوعاً حيوياً للزوجات والبنات والأمهات. وعلى الجملة موضوعاً يتصل بكيان الأسرة وكيان الأمة التي تنتمي إليها، ونرجو أن تحيا بنا عزيزة ونحيا بها كراماً.

لمحة تاريخية

فمن نيف وثلاثين عاماً كان «قاسم أمين» يحلق بخياله في متسع تاريخ مصر الاجتماعي، ويلقي بنظراته الناقدة في صحائف حياتها العمرانية، وكان يصيب نفسه وحز من الألم منشأه المظاهر الاجتماعية السيئة التي اتصلت بحياة الأسرة، دون أن يقرها العقل السليم، أو يرضاها الشرع الحكيم. ولقد حركت وخزات الألم لسانه وقلمه بما كان ينشده لأمته من ظهور امرأة جديدة تكون على حد قوله: «شقيقة الرجل، شريكة الزوج، مهذبة النوع، مربية الأولاد[1]».

ولعل الصورة المثلى التي كان يتخيلها «قاسم أمين» ويريدها للمرأة المصرية تجعل للنساء كما كان يكتب ويقول:

— رأياً في الأعمال. فكراً في المشارب، ذوقاً في الفنون، قدماً في المنافع، مقاماً في الاعتقادات الدينية، فضيلة وشعوراً في الوطنية[2]

وكان يعتقد أن المرأة قد تسمو إلى ما ينشده لها من المكانة لو كملت تربية النساء على مقتضى الدين، وقواعد الأدب، ووقف بالحجاب عند الحد المعروف في أغلب المذاهب الإسلامية[3]

ومن حق المتأمل أن يجد فيما كان ينشده ذلك المصلح الكبير صورة للمرأة العاملة الجادة الشريفة الكريمة، وليست صورة المستهترة العابثة في مهازل العيش وترهات المجتمع، وأن الاختلاط الذي كان يدعو إليه بين المرأة والرجل إنما هو ذلك الاختلاط البريء من مثيرات المفاسد، وتدعو إليه مقتضيات الحياة النزيهة المثمرة، وأن ما كان ينادي به قاسم من الحرية إنما هي الحرية التي تعين على الخير، وليست تلك التي تركب الشرور والآثام. على أن قاسماً كان شأنه في دعوته لمثله الأعلى شأن كل مصلح تملك فؤاده ولبه المثل الذي كان يدعو إليه، فكان اهتمامه لتحقيق دعوته أشغل لفكره، وأصرف لنفسه عن الاشتغال بالبحث في مختلف الوسائل التي تقي أغراضه الصالحة من الانحراف

لقاء العرعرة

وجد قاسم أمين حين دعا دعوته للمرأة المصرية من أيدوه ومن عارضوه، ومن حذروه سوء العقبى إذا لم تتخذ الحكمة وأسباب الاحتياط

فأما الذين أيدوه فكانوا ممن يعتقدون أن نهضات الأمم وعظمتها تفتقر إلى مسعى الرجال ومسعى النساء، ورقي الرجال ورقي النساء، ويكون ذلك بإشاعة التربية والتعليم ونشر الحرية بين أفراد الأمة جميعاً

وأما من عارضوه فكانوا ممن يعز عليهم أن يتغير ما ألفوه في حياتهم من عادات راسخة ضيمت على المرأة الكثير من حقوقها في الحرية والتعليم، وكانوا من المستضعفين لضغط التقاليد التي أثقلت كواهلهم وكواهل عدة أجيال من آبائهم وأسلافهم

(١) من كتاب المرأة الجديدة (٢) من تحرير المرأة (٣) من تحرير المرأة

وأما من حذروه ، فكانوا يعتقدون أن المرأة صفات نوعية تتميز بها عن الرجل ، وأن مسلكها وتقدمها ينبغي أن يساير ما انتزع عن فطرتها من الصفات ، وألا يتعدى دائرة ما اختصتها به الأقدار ، وألا يخرج عن الميدان الذي يتحقق فيه فوزها في كفاحها الحيوي ، ويتجلى فيه إنتاجها في الوجود ؛ وهؤلاء يقررون على نحو ما يقول الأستاذ فريد وجدي :

« أنهم ليسوا بدعاة إلى ظلمة القرون الأولى ، ولا بمروجي خطة أسر المرأة ، بل طلاب كمال يناسب كرامة الإنسانية ، ورواد مدنية حقة يقوم عليها الإنسان غير خائن لأمانته ، ولا غاش لنفسه »[1]

على أن دعوة قاسم كان لها الفوز على دعوة معارضيه ، ولم يكن تحذير المحذرين من بعض ما لا يرضون من نتائج هذه الدعوة يعوق لها عن الانتشار المتواصل السريع ، وذلك لأن حركة النهوض المصري كانت تشتمل في شتى ظواهر الحياة الاجتماعية من نيف وخمسين سنة . وكان لا بد لها أن تمتد إلى الأسرة وتتصل إلى المرأة التي هي دعامة البيت وركنه الركين

وعلى ذلك سايرت دعوة قاسم مجرى الحياة الاجتماعية المندفعة للرقي ، وفسح للمرأة طريق معبد في النهضة العامة ، وفتحت لها أبواب التعليم ، ونظمت القوانين لمصلحة النساء ؛ وعلى الجملة سارت النهضة النسائية في بداية أمرها مؤيدة بالحق يشجعها كل ميال لرؤية المجتمع المصري يسير من السيئ إلى الحسن ، ومن الحسن إلى الأحسن

الانحراف

لكن بينما كانت تسير نهضتنا النسائية في مجراها الصافي إذ شابها ما يعكر شيئاً من صفائها برغم أنها صدرت عن نبعها الأول ، ومن دعوة قاسم ، نقية طاهرة ، فتحول خروج النساء من عزلتهن عن أن يكون وسيلة يسوغها شرف الغاية ليكون غاية لذاته ، أو وسيلة لغاية وضيعة . ولعل من أشد العوامل التي أضعفت قيمة الاختلاط بين المرأة والرجل وسوأت خروجها عن معزلها الذي ظلت فيه طويلاً هو انتشار بعض الآراء دون أن تفهم على وجهها الصحيح ، ودون أن تنضج في فهم من تخطفوها وتلقفوها ؛ ومن هذه الآراء ذهابهم إلى أن الاختلاط بين النساء والرجال وتوالي المجامع التي يتلاقون فيها من شأنه أن يهذب من المظاهر ، ويعمل على ترقيق النظرات ، وترقيق الآداب . وحقاً أن تلاقي النساء بالرجال في الحدود التي تقتضيها حياة التعاون والعمران من شأنه أن يجر إلى عالم النسيان كل الاعتبارات الجنسية

فالفلاحون الذين يتلاقون في الحقول مع الفلاحات لاستغلال خيرات الأرض ، إنما يجتمعون اجتماعاً طبيعياً لمقتضيات نافعة قاهرة فيتلاقون بدافع هذه المقتضيات ويفترقون عند انعدامها . والمتبادلون من الناس في المتاجر ، إنما يتلاقون لحاجة وينصرفون عند انقضائها ، والمتلاقون في المعابد قد يجتمعون رجالاً ونساء لأداء حق من حقوق دياناتهم

وعلى الجملة ، فإن في دواعي الاختلاط الطبيعي الذي يتحقق لدوافعه الداعية ما يعين على ترويض النزعات الجنسية للاستقرار في مكامنها ، والوقوف عند حدودها التي تحول دون كل مكروه

التوسع في الاختلاط واضرار ذلك

لكن الناس قد توسعوا في هذا الترخص واستباحوا لأنفسهم أن يجوزوا مجتمعات الجد الطبيعية إلى مجتمعات هازلة مصنوعة من شأنها أن تؤدي إلى تحريك الانفعالات التافهة والشهوات الوضيعة والمواقف المرذولة أكثر مما تؤدي إلى ما تزكو به العقول ، أو تترفع به النفوس ، أو تتحقق به فائدة من فوائد الحياة

فقد يزدحم النساء والرجال في مجتمع من مجتمعات الشاي أو الخمر (الكوكتيل) فلا يلبث هذا المجتمع أن يتحول إلى معارض للتزين والأناقة ، وإلى مضمار للتأنق بالأقوال الرخيصة ، وبذل التظرف المصنوع ، واتخاذ الابتسامات المنافقة . وإذا كان لبعض النساء من وسائل الزينة ما ينحدر في المرتبة عن زينة الأخريات ، فسرعان ما تنبض القلوب بالغيرة والحسد ، أو تدق دقات الزهو الأجوف . وإذا كان في هذه المجتمعات من يعوزه يقظة الفضيلة ، وصلابة الخلق ، فثم النظرات المسمومة ، وثم الأحاديث المهيئة لنزعات السوء ونزغات الشيطان ، ومن ثم فضائح الغواية ، ومآسي الغيرة ، وما قد يجره ذلك من الكوارث في هدم سعادة الأسر

وإذا ذكرنا مجامع الشاي وحفلات الخمور ، فلنضف إليها ما هو أسوأ منها أثراً من منتديات الميسر ، والمراقص ، والرحلات المشتركة ، ومسارح التمثيل الخليع ، وحمامات السباحة الجامعة . وعلى الجملة ضروب المجتمعات التي تخلط بين النساء والرجال ، وإنها أكبر من نفعها لو أن لها نفعاً مذكوراً عند من يحسنونها وينزلقون إليها

(١) من المرأة المسلمة

وإذا صح أن بعض ما ذكرت من هذه المجتمعات يخلو مما أشرت إليه من المساوئ ويؤدى إلى فوائده المزعومة من جر الاعتبارات الجنسية إلى عالم النسيان ، فإنها تضعف من المرأة عاطفة الحياء ، وتوهن فى الرجل عاطفة الغيرة . وفى إضعاف عاطفة الحياء خسارة كبرى على المرأة ، فإن الحياء زينة لها ؛ وفى إيهان غيرة الرجل خسارة كبرى على الرجولة وحماية الأسرة

ولعل قاسم أمين كان يخشى أن يتجاوز الناس حدود المعقول فيما دعا إليه من الاختلاط حين دعا إليه بعد أن تجاوزوا حدود المعقول فى العزلة فقال :

« والذى أراه فى هـذا الموضوع هو أن الغربيين قد غلوا فى إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة ، ولا ترضاه عاطفة الحياء[1] »

وهكذا ظلت حركة اختلاط المرأة بالرجل تنمو سريعاً وتشيع إلى أن أصبحت الفتاة التى كانت أمها من نيف وثلاثين عاماً لا تستبيح لنفسها الاتصال ببعض المحارم أصبحت هذه الفتاة ترى الاتصال بالرجال للسمر والتسلى حقاً من حقوقها ، وليس فى الحرص على ذلك من عار ولا تأثيم

ومن المقرر أن الاختلاط بين النساء والرجال إذا قام على غير مقتضياته الضرورية الجادة ، وكان مبعثه اللهو والترف ، فإنه لا يلبث أن يقوض دعائم الأمم . وفى تاريخ الرومان شاهد على ذلك :

« فلما دعاهم داعى اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن مجالس الأنس والطرب ، فخرجن خروج الفؤاد من بين الأضالع ، فتمكن ذلك العنصر الهاجم وهو الرجل لمحض حظ نفسه ، من إتلاف أخلاقهن ، وخدش طهارتهن ، ورفع حيائهن حتى صرن يحضرن التياترات ، ويشتين فى المتنديات ، وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الأول فى تنصيب رجال السياسة وخلعهم . فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدرى ولا تدرى[2] » .

الحرية وسوء فهمها

ولقد أساء الناس فهم معانى الحرية كما أساءوا فهم الاختلاط والدعوة إليه ، وجر ذلك إلى عدة شرور . وليس من شك أن الحرية من مطالب النفوس عند ما يشكو الناس من نظم اجتماعية تحول بينهم وبين الحقوق الفطرية التى وهبت لهم لتأدية رسالتهم فى العمران . وقد ينزع الطير المحبوس لحريته ، ويحن الهواء الطلق والأجواء الواسعة ، لأن فى الحبس تعطيلاً لأجنحته التى سواها الله للطيران ، وتتدرج بممارسته لكمال وظيفتها . وقد ينزع الشعب المقهور للحرية التى ضيقها عليه القاهرون ليتم بعزته القومية المسيطرة عليه ، ويطمئن إلى عاداته وآماله المحببة إليه ، ويستغل ثروة بلاده ونتائج كسبه ومسعاه . وقد يطلب المتبادلون المنافع فى أسواق التجارة حرية البيع والشراء ليجد كل من الطالب والعارض ما تتحقق به حاجته ومصلحته وأجره . وقد يهيم المؤلف والكاتب والخطيب حين يصدقون بطلب الحرية لاعتقادهم أن فى دعوتهم عوناً للخير والحق . وعلى الجملة قد تطلب الحرية كأداة صالحة يستعين بها المرء لأغراضه العليا من الخير والكمال . فما هى إذن تلك الأغراض العليا التى يقصد النساء إليها ويتخذن من الحرية لها أداة صالحة ؟

أما إذا كان طلب الحرية ليصبن من العلم ما يصقل نفوسهن ويقوم أخلاقهن ، فلا يمانع فى ذلك أحد ؛ فطلب العلم الذى تتكمل به النفس فريضة على الناس جميعاً . وإذا كان الباعث على طلب الحرية هو القيام بما ينتفع به المجتمع حين يحتاج لنشاط نسائه ، فليس من ينكر عليهن تلك الحرية حين يقتضيها الحال وتدعو إليها الظروف . لكن إذا طلبت المرأة حريتها لغير ما ينفع ، كما لو أرادت أن تلبى داعى الزق لتلهو بمخالطة اللاهين ، وكما لو اتخذت من الحرية ما يستخدم لهجران بيتها لتأنس باللاهى والمزارات والتسكع فى الأسواق ، وكما لو أرادت أن تتخذ من الحرية مطية للتبرج رغبة فى الزهو بنفسها والغرور بزينتها ، فليس من أحد رشيد يرضى عن حرية تركب للعبث والتسخط .

لقد أبيح للكثرة من نساء الغرب تمشياً مع سوء فهم الحرية أن يتعرفن بمن شئن من الناس ويختلطن بالرجال بمحض اختيارهن حينما يشأن طوعاً لحقهن فى الحرية ، أو اعتماداً على ثقتهن الموهومة بأنفسهن ؛ وقد يحاكيهن فى ذلك بعض نسائنا فى هذا العصر ، وفى بعض الطبقات مطموحات بأنفسهن بعيداً عن مألوف العرف المصرى والإسلامى ، غير مكترثات بما قد يجر إليه هذا الإمعان فى الاختلاط من مفاسد خلقية ومن أثر سىء فى بنية الأسر وفى تقدم المجتمع وكيان الدولة . وفى الحق أن هذا التجديد المروّع

(١) عن تحرير المرأة (٢) عن المرأة المسلمة لفريد وجدى

الأندية العربية فى العراق

للدكتور زكى مبارك

تمهيد — حفلات القبول — السهرات الصحفية بين القاهرة وبغداد — نادى المعارف — نادى المثنى — نادى الشبان المسلمين — نادى الهداية الاسلامية — النادى العسكرى — نادى البصرة — نادى الجزيرة — الرابطة العلمية والأدبية بالنجف — نحن أهل العراق .

تمهيد

حين زرت بغداد للمرة الثانية سألت معالى الدكتور سامى شوكت عن منزل أخيه الدكتور صائب شوكت فقال : « إنه يقيم فى شارع المرحوم أبى نواس » وقد فخم كلمة « المرحوم » ليبرز معنى الدعابة فى تعبيره الطريف

والمرحوم أبو نواس يحدثنا فى خمرياته أنه كان يجد الحانات مغلقة الأبواب ، وأنه كان ينادى أهلها من وراء الحجرات ليسعفوه بالشراب وأدوات الشراب ، وللشراب أدوات مختلفات الألوان

وقد سمعت أن حانات بغداد لا تزال على عهدها القديم : فهى تغلق بعد مضى ساعات قلائل من صدر الليل ، ويحوج قاصديها إلى قرع الأبواب ، برفق أو بعنف ، وفقاً لظرف الزمان وظرف المكان ، فلكل محلة فى بغداد ظروف

ماذا أزيد أن أقول ؟

أنا أريد القول بأن تقاليد العراقيين فى القديم والحديث توجب أن تكون سهراتهم فى البيوت ، على نحو ما كانت الحال فى مصر إلى عهد قريب ، ويشهد بقوة تلك التقاليد إغلاق الحانات فى صدر الليل ، وسهرات البيوت فى العراق القديم

وجدت خلفاً سعيداً هو سهرات الأندية فى العراق الحديث .

فكيف الحال هنالك ؟ وهل بقى للمنازل حظ بجانب الأندية الأدبية ؟

حفلات القبول

فى العراق ما يسمى « يوم القبول » وهو ما نسميه فى مصر « يوم الاستقبال » وهو يوم من أيام الأسبوع ينتظر فيه الرجل زائريه فى الصباح أو فى المساء : فمالى السيد محمود صبحى الدفترى يستقبل زائريه فى صباح الجمعة ، وهو صباحية جميلة يتلاقى فيها أعيان أهل الأدب فى بغداد ، ولها تأثير شديد فى توجيه الحياة الأدبية والاجتماعية . ومعالى الشيخ محمد رضا الشبيبى يستقبل زائريه فى مساء الخميس ، وقد يتلطف باستقبال زائريه فى كل مساء ، لأنه يقيم بضاحية نائية تسمى « الزوية » وله على شط دجلة نادٍ جميل يشرح الصدور ، ويؤنس العيون ، وفى ذلك النادى تثار مشكلات متصلة بالعلوم والآداب والفنون ، وتسمع فيه أغاريد « أبى كلثوم الوفدى » وهو الشاعر المفتون بأغانى أم كلثوم وأخبار الوفد المصرى ، هو السيد باقر الشبيبى الذى يحب مصر أكثر مما يحبها المصريون أعزه الله وأدام عليه نعمة الوفاء

وخلاصة القول أن لأكثر أهل العراق أندية تقام فى البيوت أيام القبول وهى أندية توجه الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية وتسير بالمجتمع العراقى إلى غايات فيها القريب والبعيد ، وقد تكون لها صلة بما يظهر فى الجو العراقى من شئون وشجون ، فالرجال هنالك لا يكفون عن مراقبة الاتجاهات المحلية إلا فى أندر الأحايين

السهرات الصحفية

وبجانب حفلات القبول تقام سهرات الصحفيين فى دور الجرائد والمجلات ، وهى سهرات فاتنة إلى أبعد الحدود . وهل أنسى سهراتى فى إدارة جريدة (العراق) وجريدة (البلاد) ؟ وهل أنسى أن إخوانى فى جريدة (الهدف) كانوا يمدون روحى بأكواب الصفاء ؟ وهل أنسى أن كؤوس الشاى فى جريدة (بغداد) كانت أطيب من كؤوس الصهباء ؟

الصحفيون فى العراق يذكرون بإخوانهم فى مصر من حيث الجاذبية وخفة الروح ، وأنديتهم فى جرائدهم تذكر بأنديتنا فى جرائدنا ، فما ينسى أحد كيف كان النادى الأدبى فى جريدة

فى عادات نسائنا ، هو أشد ما يخشى أثره فى أمة كأمتنا ما زالت فى طورها الحاضر تحبو فى السبيل الموصلة لعظمة الأمم

فإذا كان قد أصاب دولة الرومان ما أصابها من الضعف عند التوسع فى الاختلاط المفسد بين الرجال والنساء ، وعند التوسع فى إطلاق حريتهن ، فإن مثل هذا الاختلاط المنحرف كان له أكبر الأثر فى إضعاف بعض الأمم الغربية المعروفة فى العصر الحديث حين خبت ثقافتها ، وهزل إنتاجها الأدبى المعاصر ، وانحلت قوة المقاومة منها عند الجهاد والكفاح الحيوى

« البقية فى العدد القادم »

منصور فهمى

(الجهاد) وكيف يكون النادى الأدبى فى جريدة (الأهرام) وجريدة (المصرى) وجريدة (السياسة) وإن امتزج نادى (السياسة) بنادى الأحرار الدستوريين . وهل كانت (ندوة الدستور) إلا ندوة أدبية قليلة الأمثال ؟

إن الأنس الذى يجده من يسمُر بدار (الرسالة) أو دار (الأهرام) له نظائر فتانة فى دار (العراق) أو دار (البلاد)

وكما نجد فى سهرات الصحافة المصرية أقطاب الرجال فى أكثر الميادين ، نجد فى سهرات الصحافة العراقية أقطاب الرجال فى الأدب والسياسة والاجتماع

وإذا صح للمنفلوطى أن يسجل أن النادى الأدبى فى جريدة (المؤيد) خلق أكابر الباحثين فإنه يصح لنا أن نسجل أن الأندية الصحفية فى مصر والشام والعراق سيكون لها فضل عظيم فى تكوين الجيل الجديد[1]

نادى المعارف

وأنتقل إلى الحديث عن الأندية الأدبية فأقول :

أول ناد أدبى عرفته فى بغداد هو نادى المعارف ، والمعتمد لهذا النادى هو السيد رشيد العبيدى[2] ، وهو أديب عراقى تخرج فى مصر بمدرسة دار العلوم ، وهو زميل السيد حسين بستانة ، إليه وإلى من تخرجوا فى دار العلوم أقدم أطيب التحيات ؛ فهم سفراء مصر فى العراق[3]

ونادى المعارف هو نادى المعلمين ، وفيه شربت أول كأس من ماء دجلة ، وفيه كنت ألقى من يسألون عنى فى مساء كل خميس

فى نادى المعارف يلتقى المعلمون كل يوم ، فيقرأون الجرائد والمجلات ، ويتجاذبون أطراف الأحاديث ، ويستمدون لاستقبال من يفد على بغداد من رجال العلوم والآداب والفنون

فإن قلتَ إن « نادى المعارف » فى بغداد له تأثير فى توجيه الحياة الأدبية فأنت صادق كل الصدق ، لأنه موصول الأواصر بأكثر البلاد العربية ، ولأن رجاله من أكابر المدرسين ، والمدرسون هم المصلحون الأوائل فى جميع الشعوب

نادى المثنى

ونادى المثنى هو نادى المروءة ، ومعتمده هو الدكتور صائب شوكت ، ولهذا النادى حفلات أسبوعية لاستماع المحاضرات ومجاذبة الأحاديث ، ومن أعضائه السيد محمد مهدى كبة والدكتور عبد المجيد القصاب والسيد عبد المجيد محمود ، وقد تفضل أعضاء هذا النادى فمنحونى « عضوية الشرف » ، والذى وصلنى بهم هو تلميذى القديم السيد جلال الأورفه لى ، ذكره الله بكل صالحة ، وأكرمنى بدوام نعمته عليه ، فهذا المحامى النابغ كان السبب فى أن أقضى سهرات جميلة بقصر صاحب السمو الأمير عبد الإله قبل أن يصير وصياً على عرش العراق

نادى الشبان المسلمين

هو نادٍ يقوم بالكرخ فى دار جمعية الشبان المسلمين ، وهو نادٍ خفيف الروح ، وتقام به سهرات مصقولة الحواشى ، وفيه سمعت محاضرة جيدة للأستاذ محمد بهجة الأثرى ، وهو شاعر مجيد يعرفه قراء الرسالة ، وله صداقات متينة مع كثير من الأدباء الكبار فى مختلف البلاد العربية . وكانت له مطارحة أدبية مع الأستاذ الزيات سجلها فى كتيب لطيف . وقد عرفته أول مرة حين دعانى سعادة الأستاذ عبد القادر الكيلانى للتسليم عليه فى دار المفوضية العراقية بالقاهرة ، والسيد عبد القادر هو اليوم عراقى له دار مصرية فى بغداد ، وهو النموذج الحق للذاتية العربية والإسلامية ، أدام الله عليه نعمة التوفيق

نادى الهداية الإسلامية

لم أزر هذا النادى ، وإنما رأيت آثاره الجميلة فى إحياء المواسم الإسلامية ، وله مجلة تصدر باسمه يديرها الأستاذ الطائى ، ومن أعاظم رجاله الأستاذ طه الراوى ، وهو رجل عظيم لا أملّ ولن أملّ من الثناء عليه ، بعد أن رأيت دموعه تنحدر يوم أطلق الرصاص على بعض الأساتذة المصريين فى بغداد

وطه الراوى أستاذ مخضرم تزود من الثقافة الدينية والثقافة المدنية ، وهو من أقدر الناس على ضبط النفس ، فما تسمع منه كلمة تشوك خصومه فى محضر أو مغيب . ويوم تفكر مصر فى مبادلة الأساتذة سيكون من واجبى أن أقترح استقدامه للتدريس فى كلية اللغة العربية أو دار العلوم أو كلية الآداب .

---

(١) الشام فى جميع ما يخطه قلمى هى البلاد المكونة من فلسطين وسورية ولبنان (٢) المعتمد هو الرئيس فى تعبير أهل العراق

(٣) قد يجهل المصريون أنفسهم أن وزارة المعارف المصرية تؤدى خدمة جليلة لوصل الأمم العربية بعضها ببعض عن طريق التعليم والتثقيف ، فهى تقبل جماعات من الطلبة الشرقيين بالقسم الداخلى فى مدرسة دار العلوم بدون مصروفات

فمتى تفكر مصر فى هذا النظام ليتعارف المصريون والعراقيون بدون التعرض للتكاليف المالية ؟

والمهم أن أسجل أن هذه الجمعية لها مجلة تنشر الثقافة الدينية والأدبية كما لجمعية الشبان المسلمين مجلة تسمى « العالم الإسلامى » ولهاتين المجلتين تأثير فى تكوين الأذواق وتهذيب النفوس ، وإن كنت لا أدرى ما صارتا إليه بعد أن حرمت الاستصباح بظلام الليل فى بغداد

النادى العسكرى

هو نادى الضباط، وهو ناد له فى ذهن الأستاذ الزيات تاريخ . فقد قال فيه كلمة لن ينساها البغداديون ، فما هى تلك الكلمة ؟ أظنه قال إنه كان يسمع فيه صوت السكون ، فما استطعت الاتصال به عند كتابة هذا الحديث فأعرف بالضبط ماذا قال[٤]، لأنى شرعت فى كتابة هذا الحديث وأنا بغبار السفر بعد الرجوع من بغداد ، بل أسوان[٥]

وفى النادى العسكرى سمعت نكتة عراقية : سمعنى إليه رفيقان : هما السيد صادق الوكيل ، والسيد جواد الشهرستانى ، وأراد السيد جواد أن يدلنى على الطريق ، فقال السيد صادق : لن يحتاج الدكتور مبارك إلى دليل عند الدخول ، ولكن سيحتاج إلى دليل عند الخروج !

فهل كان يعرف هذا الشقى أن نشوة الأسمار والأحاديث ستحوجنى بعد السهرة إلى السؤال عن الطريق ؟

فى النادى العسكرى يسهر جماعات من ضباط الجيش العراق وهم رجال على جانب من العلم والأدب والوطنية ، وفيهم السيد مجيد الهاشمى ، وهو رجل متنوع المواهب ، وله دراية بكثير من فنون المعارف والآداب ، وهو من صلات الوصل بين مصر والعراق ، لأنه موصول القلب والعقل بأكثر ما يصدر عن وادى النيل

نادى البصرة

هو مجتمع أهل الفضل بوطن « الجاحظ » و « إخوان الصفاء » ، ولو طالت إقامتى بالبصرة لاستطعت تسجيل ما به من خصائص تمثل ما عند أهل الجنوب من شمائل بيض ، فأهل البصرة بشهادة جميع أهل العراق يمتازون باللطف والوداعة والكرم والجود ، وقد سمعت عن السيد الشمخانى أحاديث تذكر بأخبار معن بن زائدة الشيبانى ، وآخر ما سمعت هو ما قرأت فى جريدة الأستاذ عبود الكرخى عن أخبار السيد الشمخانى فى مواسم الصيد

نادى الجزيرة

هو منتدى أهل الفضل بالموصل ، ومعتمد هذا النادى هو تلميذى القديم الأستاذ جيلران[٦] ، وهذا النادى يقع على شط دجلة وفى رحاب حديقة جميلة هى معترك العواطف بالموصل ، وله تأثير شديد فى وصل الأواصر الأدبية بين الأمم العربية

الرابطة العلمية

هى أعظم جمعية أدبية بالنجف « الأشرف » ، وإنما وصف النجف بالأشرف منافسةً للأزهر « الشريف » . ففى النجف معهد دينى يسير على أسلوب الأزهر فى أكثر الشئون ، وإن لم يستطع مسايرة الأزهر فى الانطباع بطابع الزمان

والرابطة العلمية والأدبية بالنجف لها لون خاص ، فأدباؤها فى حكم المنعزلين عن أدباء الموصل والبصرة وبغداد ، ولهم فى إنشاد الشعر طريقة لا يعرفها من سكان العراق غير النجفيين ، وهى طريقة تقوم على قواعد الترنيم ، وعلى مثلها كان الشيخ سيد المرصفى ينشد الشعر فى دروسه بالأزهر الشريف

نادى القلم العراقى

هو تاج الأندية العراقية ، أسس منذ سبع سنين أسوةً بأندية القلم فى كثير من أقطار العالم القديم والعالم الجديد ، واختير الشاعر جميل صدقى الزهاوى رئيساً ، والدكتور محمد فاضل الجمالى نائب رئيس ، والدكتور متى عقراوى أميناً للصندوق ، والأستاذ إبراهيم حلمى العمر كاتم أسرار

والرئيس اليوم هو معالى الشيخ محمد رضا الشبيبى ، ونائب الرئيس هو الدكتور محمد فاضل الجمالى ، وأعضاؤه يزيدون على

(٤) فى كتاب (وحى الرسالة) وصف لهذا النادى وحديقته جاء فيه : « والسكون مرهوب الجلال أنيس الوحشة يسمق ثم يسمق حتى تكاد تسمع النبات وهو ينبت »

(٥) أسوان مضرب المثل فى البعد ؛ وأهل مصر يقولون : أبعد من الشلال !

(٦) « جيلران » كلمة كردية ، عربت معناها ثم نسيته ، فما اسمك بالعربية ، يا سيد جيلران ؟

الثلاثين ، وهم يُختارون من بين الرجال الموسومين بالمواهب العلمية والأدبية

ليس لهذا النادي دار ، وإنما يجتمع الأعضاء من وقت إلى وقت في منازل يتوافَوْن إليها على ميعاد ، فهم اليوم في منزل الأستاذ عباس العزّاوي ، وهم غداً في منزل الأستاذ جعفر خياط ، وهم بعد غد في منزل الأستاذ باقر الشبيبي ... الخ . وعلى من يجتمعون في داره أن يقدم إليهم الشاي أو المرطبات ، إن اجتمعوا في العصرية ، فإن اجتمعوا في المساء كان من واجبه أن يتلطف بتقديم العَشاء الخفيف . ولا يجتمعون في المساء إلا إن كانت دار الداعي في مكان بعيد

وفي كل اجتماع يُلقي أحد الأعضاء محاضرة علمية أو أدبية أو اجتماعية(٧) . ثم يدور النِّقاش بعد استئذان الرئيس ، وقد يصل النقاش إلى درجات من العنف لا يخففها إلا ضحكات الدكتور الجلالي وفكاهات الأستاذ أبي إيناس

وأعضاء هذا النادي في غاية من الحيوية ، وهم يرسلون من يمثّلهم في المؤتمرات التي يقيمها نادي القلم العالمي . وقد أصدروا أخيراً مجموعة نفيسة ضمّنوها طوائف من المحاضرات التي أُلقيت في اجتماعاتهم الدورية ، وتقع هذه المجموعة في أكثر من ثلثمائة صفحة بالقطع المتوسط ، وبها رسوم لجميع من حوى هذا السِّفر أبحاثهم الجياد

نجد في صدر المجموعة مقالاً علمياً عن المجريطي إمام فلاسفة الأندلس في الرياضيات والطبيعيات ، وهو مقال مفصّل دبجه الأستاذ محمد رضا الشبيبي . ولهذا الأستاذ الجليل بحث آخر في هذه المجموعة سماه (قصة فتح بغداد) ، وهو يصوّر ما كان عليه المغول من القوة الحربية والسياسية يوم استطاعوا اجتياح العراق ؛ ويمكن بسهولة أن نعدّ هذا البحث من فلسفة التاريخ

وهنالك بحث شائق للأستاذ أحمد حامد الصراف عن (النُّحلة) وهي الفِرقة التي تعبد عَليّاً وتراه خالق الكون وسر الوجود

ولنا ملاحظات على هذا البحث يضيق عنها هذا الحديث ، وقد نرجع إليها بعد حين

وفي هذه المجموعة خلاصة وافية لأعمال المؤتمر الرابع عشر لأندية القلم وقد عُقِد في بونيس إيرس بالأرجنتين (٥ — ١٥ أيلول سنة ١٩٣٦) ، وهذه الخلاصة هي تقرير قدّمه الأستاذ مجيد خدوري مندوب نادي القلم العراقي ، وفي هذا التقرير إشارات إلى شئون أدبية وفلسفية تستحق الالتفات

ويهمني أن أوصي قراء الرسالة باقتناء هذا السِّفر النفيس ، فهو عُصارة جهود محمودة في خدمة العلوم والآداب ، وهو يصوّر جوانب من النشاط العلمي والأدبي في بغداد

ثم ماذا ؟ ثم أُجمِل الغرض من هذا الحديث فأقول :

إن الآثار المدوّنة في الجرائد والمجلات والمطبوعات لا تمثّل أعمال الأندية العراقية كل التمثيل ، ففي تلك الأندية تدور مطارحات ومساجلات تفوق المدّ والإحصاء ، وفيها تُدرَس أعمال الأدباء الذين يصل صرير أقلامهم إلى العراق . ولأدباء الرافدَين موازين في النقد الأدبي لا تخلو من تحرّي الدقة والعدل ، وهم يعرفون من أخبارنا الأدبية كل شيء ، ولا تغيب عنهم مراميتنا إلا في النادر من الأحيان ، كأن يصدّقوا أقوال المصريين بعضهم في بعض ، وما دَرَوا أن تهاجي الصحف المصرية بابٌ من الرياضة على إجادة التعبير في مختلف الأغراض

والظاهر أني مضطرٌّ إلى تذكير أدباء مصر بأنهم لا يكتبون لأنفسهم ، وإنما يكتبون لأقطار كثيرة ، وتلك الأقطار قد يغيب عنها مَرامي المصريين بالنكتة والمزاح ، فما نرسله على سبيل الفكاهة قد يُظَنّ من الحقائق ، ثم يؤوّل أسوأ التأويل

أما بعد فهل يرى القراء أني دللتهم على مظاهر الحيوية الأدبية في أرجاء العراق ؟

إنني أوجزت القول عن الأندية الأدبية لأدّخر الفُرص للحديث عن رجال الصحافة وقادة الفكر في تلك البلاد ، فما أحوال الصحافة العراقية ؟

سأري ويرى معي القراء كيف تجول الأقلام وتصول في وطن دجلة والفرات ، على شرط أن يُرفَع الحجاب بيني وبين زملائي هناك ، فلا يقال إنني أخرج على آداب الصداقة والأخوة حين أنتقل من الحمد إلى الملام . وهل أذكر أهل العراق بالسوء إلا مصانعةً للكاشحين والحاقدين ؟

كلانا مُظهِرٌ للناس بُغضاً وكلٌّ عند صاحبه مكينُ
تخبّرنا العيون بما أردنا وفي القلبين ثَمّ هوًى دفين

زكي مبارك
عضو نادي القلم العراقي

(٧) المحاضرة هي المحاضرة في تنيير أهل تونس . وأختار أن يكون البحث محاضرة والتعقيب عليه مساجلة

٦ ـ فى العقد

لأستاذ جليل

٤٥ — (ص ٣٧٢) هند بنة أسماء

(ص ٩٩) بإبراهيم

(ص ٣٥) لا ستر الله علىّ إذاً ذنبي

(ص ١١٧) : كان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يُذمِّر[1] الناس ويقول : يأهل الإسلام ، إن الصبر عز ، وأن الفشل عجز ، وأن مع الصبر النصر

قلت : أراد محققو (العقد) أن تظهر (ابنة ، وإذن ، ويا إبراهيم ، ويا أهل) كما رأيت استناداً إلى بعض مؤلفات فى (الإملاء) على أنهم لم يعملوا فى كثير من الألفاظ بما جاء فيها

واللفظة (ابنة) بين علمين فى (أدب الكتّاب) لابن قتيبة قول يخالف غيره ، وهو هذا : « وتكتب هذه هند ابنة فلان بالألف وبالهاء ، فإذا أسقطت الألف كتبت هذه هند بنت فلان بالتاء »

وفى (الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب) لابن السيد البطليوسى بحث فى إذن وغيرها جدير بالنشر وهو هذا : « قد اختلف الناس فى إذن كيف ينبغى أن تكتب ، فرأى بعضهم أن تكتب بالنون على كل حال ، وهو رأىُ أبى العباس المبرِّد . ورأىُ قوم أن تكتب بالألف على كل حال ، وهو رأى المازنى[2] ورأى الفراء أن تكتب بالنون إذا كانت عاملة وبالألف إذا كانت ملغاة . وأحسن الأقوال فيها قول المبرد ، لأن نون إذن ليست بمنزلة التنوين ولا بمنزلة النون الخفيفة فتجرى مجراها فى قلبها ألفا ، إنما هى أصل من نفس الكلمة ، ولأنها إذا كتبت بالألف أشبهت إذاً التى هى ظرف ، فوقع اللبس بينهما . ونحن نجد الكتاب قد زادوا فى كلمات ما ليس فيها ، وحذفوا من بعضها ما هو فيها للفرق بينها وبين ما يلتبس بها فى الخط . فكيف يجوز أن تكتب إذن بالألف ، وذلك مؤد إلى الالتباس بإذاً ؟

وقد اضطربت آراء الكتاب والنحويين فى المجاء ، ولم يلتزموا فيه القياس ، فزادوا فى مواضع حروفاً خشية اللبس نحو واو عمرو ، وألف مائة[3] ، وحذفوا فى مواضع ما هو فى نفس الكلمة نحو خالد ومالك ، فأوقعوا اللبس بما فعلوه ، لأن الألف إذا حذفت من خالد صار خلداً ، وإذا حذفت من مالك صار ملكا . وجعلوا كثيراً من الحروف على صورة واحدة كالدال والذال والجيم والحاء والخاء ، وعولوا على النقط فى الفرق بينها ، فكان ذلك سبباً للتصحيف الواقع فى الكلام . ولو جعلوا لكل حرف صورة لا تشبه صورة صاحبه كما فعل سائر الأمم ، لكان أوضح للمعانى وأقل للالتباس والتصحيف . ولذلك صار التصحيف فى لسان العربى أكثر منه فى سائر الألسنة ... »

قلت : أصاب ابن السيد فى بعض ما قال ، وأشط فى بعض و « ألقى الشيطان فى أمنيته ... » . وإن الإبهام ولا سيما فى التنقيط[4] ، والعمل بأقوال أئمة فى الإملاء مسهلة ، وعلامات الترقيم ، وشيئاً من التيسير لا يضير ... فى كل ذلك مرغب البطليوسى وأمثاله فى هذا العصر من مستعصبي الحروف العربية وأكثر من مطلوبهم . والحروف العربية والحروف الفرنجية كلها من جنس واحد ، كما ذكر ذلك فى « الرسالة » رقم ٢٢٦ ص ١٧٨١ . وليست المشكلة ولا البلية فى الحرف ، ولكن فى الانحراف ...

٤٦ — (ص ٣٦٠) :

الوحى بين بنى البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصام

قلت : قَطع الخصامَ ، والجملة خبر الوحى ، وهذا ما يعنيه الشاعر المستجدى ، وإن كان ذلك الشكل وجه . والبيت فى قصيدة من أشهر قصائد (المتلمس) وفحواها أن الله أعطى

---

(١) قلت : ورد هذا الفعل (يذمر) هنا مضعفا ، والذى فى اللغة هو ذمر يذمر ذمراً وهو ذامر مثل قتل يقتل قتلا . وضبط (يذمر) فى طبعة (السان) مشدداً ـ خطأ وذمره على الأمر حضه مع لوم ليجد فيه ، يقال : القائد يذمر أصحابه فى الحرب يسمعهم للكروه ليتحذم كما فى الأساس . وفى الجمهرة : (ذمرت الرجل أذمره ذمراً إذا أغضبته) والفعل : ذمر تغيراً معنى آخر

(٢) الكاتب الكبير الأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى لا يرى رأى ابن عمه . . .

(٣) ابن قتيبة : مائة زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين منه ، ألا ترى أنك تقول : أخذت مائة وأخذت منه فلو لم تكن الألف لالتبس على القارىء (قلت) : كان ذلك أيام قلة الاعجام . وإذا قلت وكتبت اليوم أخذت مئة ، وأخذت منه فلن يلتبس على قارىء . . .

(٤) فقدان النقط فى الياء فى الفعل أو الاسم فى كل حالة فى أكثر المطابع المصرية ـ مشكلة . فتى تتم مصانع الحروف هذا النقص ؟ وأصحابها قادرون على الاتمام ... وقد أغضب هذا التفريط حضرة العلامة الأب أنستاس مارى الكرملى فنبه عليه فى مقالاته

العباسيين لا العلويين الفاطميين (إمامة) المسلمين وسياسة دنياهم كيف ؟ ولماذا ؟

مروان بن أبي حفصة لا يسأل عن هذا (الإنطاء) ، ولا يدري لماذا ؟

لا يبحث عن كيفية ولا سببية، ولا يهمه عباسية ولا علوية، و(بيت القصيدة) عنده هو تلك المنقوشة المسجدية والبينية

« وعلى المنقـــوش داروا »

وفي (الإسلام الصحيح) القول الحق الصريح في الإمامة وفي أمور ذات بال(٥)

٤٧ — (ص ١٥٨) : قال عيسى بن موسى : لما وجهني المنصور إلى المدينة لمحاربة بني عبدالله بن الحسن ...

قلت في طبعات العقد السابقة : لمحاربة عبدالله بن الحسن ، وفي هذا القول خطأ ، فزاد محققو الكتاب محسنين الكلمة (بني) وزيادة (ابني) أوفق ؛ فالثائران هما : محمد (النفس الزكية) وأخوه إبراهيم ابنا عبدالله بن الحسن

٤٨ — ص ٦٦ ... فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب : ما تقول في بني فلان ؟ قال : أشرار من أهل بيت أشرار . قالوا : اسأله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد — وكان عامله على المدينة — قال : ما تقول في الحسن بن زيد ؟ قال : يأخذ (بالإحنة) ويقضي بالهوى . فقال الحسن : يا أمير المؤمنين ، والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو وصفك بشر . قال: ما تقول فيّ ؟ قال: أعفني . قال : لا بد أن تقول ؛ قال : لا تعدل في الرعية ، ولا تقسم بالسوية . قال : فتغير وجه أبي جعفر ؛ فقال ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي صاحب الموصل : طهرني بدمه يا أمير المؤمنين ، قال : اقعد يا بُني ، فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهور(٦)

وجاء في الشرح في تعليقة (بالإحنة) : كذا في ا . والذي في سائر الأصول : (بما لا يحققه) ، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين .

قلت : الإحنة الحقد ، والنصب الطارئ من الحقد . والظن أن (بالأحنة) هي (الرشا) ، ولا يستبعد هذا في باب التبديل والتحريف والتصحيف ، وما بذ (العقد) سائر الكتب بكل ذلك من شيء قليل ... والرجل يسجع ، والرشا والهوى يتفقان ... ووصفه العامل بأخذ الرشا أهون خطباً من ذلك (التقريظ) الذي لطم به وجه الخليفة ... وهو الخليفة

٤٨ — (ص ٢٥٠) قال سابق البربري :

وداهن إذا ما خفت يوماً مسلطاً عليك، ولن يحتال من لا يداهن

قلت : أظن أنه سابق البربري كما في حماسة البحتري وشرح المقامات للشريشي . وفي التاج : « سابق بن عبد الله البرقي المعروف بالبربري ، روى عن أبي حنيفة رحمه الله وعن طبقته ، مشهور عندهم » وروى البحتري له في حماسته هذا البيت الفذ :

وفي البحث قدماً والسؤال لذي العمى
شفاء ، وأشفى منهما ما تعـــاين

وقد يكون هو وبيت العقد من قصيدة واحدة ، وروى الشريشي هذين البيتين لسابق البربري :

لحى متى تلهو بمنزل باطـل كأنك فيه ثابت الأصل قاطن
وتجمع مالا تأكل الدهر دائباً كأنك في الدنيا لغيرك خازن

٤٩ — (ص ٢٥٢) قال ابن أخت تأبط شرا :

مطـــرق يرشح موتاً كما أطرق أفعى ينفث السم صلّ

قلت :

مطرق يرشح موتاً كما أطـــرق أفعى ينفث السم صلّ

وقافية البيت مطلقة ، والتشديد غير جائز ولو كانت مقيدة ، والبيت من قصيدة تنسب إلى تأبط شراً وإلى ابن اخته وكلاهما من الأسرة الخلفية ... وقد نقل (جوته) معانيها نظماً إلى الجرمانية وسماها نشيد الانتقام ، وسأنشرها وكلمة موجزة في شاعر الجرمان الأعظم

٥٠ — (ص ٢١٨) ... كان رجل من أهل الكوفة قد بلغه عن رجل من أهل السلطان أنه يعرض ضيعة له بواسط

(٥) في ذلك الكتاب : إنما الإسلام دين التساوي ، فالصعلوك مثل الرئيس ومثل الملك ، والملك والرئيس مثل الصعلوك في هذا الدين. (وفيه) ما كان محمد زعيم مترة حتى يحفل بمترة ، وما كان محمد لقبيلة فيعنى بأمر قبيلة ، وما كان محمد لجيل أو أمة « قل يا أيها الناس ، إني رسول الله إليكم جميعاً .. وليس (الكتاب) كتاب العرب ، القرآن كتاب العالمين « إن هو إلا ذكر للعالمين » ومحمد للناس أجمعين . (وفيه) والله تعالى ما أنزل فرقانه ليكون صرفاً لقريش أو للعرب « إن هو إلا ذكر للعالمين » « وذكرى لقوم يؤمنون » « إن هو إلا ذكر للعالمين » و « هدى للمتقين » فما « أوحى الله إلى عبده ما أوحى » لتوجيه قريش وتعريف هاشم أو أمية

(٦) الطهور مصدر فيما حكى سيبويه (التاج)

فى مغرم لزمه للخليفة ، فحمل وكيلاً له على بغل وأترع له خرجاً بدنانير وقال له : اذهب إلى واسطَ

قلت : بواسطٍ ... إلى واسطٍ

قال (الـكتاب) : وأما واسط فالتذكير والصرف أكثر ، وإنما سمى واسطاً لأنه مكان وسط بين البصرة والـكوفة ؛ فلو أرادوا التأنيث قالوا واسطة ، ومن العرب من يجعلها اسم أرض فلا يصرف

فى معجم البلدان : قال أبو حاتم : واسط التى بنجـد والجزيرة[٧] تصرف ولا تصرف؛ وأما واسط البلد المعروف فذكر لأنهم أرادوا بلداً واسطاً أو مكاناً واسطاً فهو متصرف على كل حال

قالوا : وقد يذهب به مذهب البقعة والمدينة فيترك صرفه . وأنشد سيبويه فى ترك الصرف :

منهن أيام صدق قد عرفت بها أيام واسط والأيام من هجرا[٨]

ولقائل أن يقول : إنه لم يرد واسط هذه فيرجع إلى ما قاله أبو حاتم :

٥١ — (ص ٣٧٠)

إذا ما أبى شيئاً مضى كالذى أبى وإن قال إنى فاعل فهو فاعل

وجاء فى الشرح : فى الأصول والأمالى فى الموضعين (أتى) وهو تصحيف

قلت : فى طبعة الـكامل فى التاريخ لابن الأثير مثل رواية الأمالى والأصول ، ورواية (العقد) هنا أفضل . وفى تاريخ الطبرى (ج ٩ ص ٢٠٩)

إذا ما أتى شيئاً مضى كالذى أبى وإن قال إنى فاعل فهو فاعل

وإن ثبتت هذه الرواية فالمعنى أنه إن قال فعل ، وتصميمه على ما يأتيه ومضيه فيه كإبائه ما يأباه كما قال :

أبىّ لـما آبى سريع مباءتى إلى كل نفس تنتحى فى مسرتى[٩]

٥٢ — (ص ١٤٢)

أريد حياته ويريد قتـــلى عذيرك من خليك من مراد

قلت : البيت فى قصيدة لعمرو بن معد يكرب . وروايته فى كتاب سيبويه والـكامل والطبرى والخزانة وغيرها : (أريد حباءه) ، وكان أحد الفضلاء خطأ فى (الرسالة) أريد حياته . وهى رواية فى البيت ، ففى شرح شواهد الـكتاب للشنتمرى : (ويروى أريد حياته) وفى الخزانة للبغدادى : (ويروى أريد حياته بلفظ ضد الممات) فلا خطأ هناك

* * *

فى القول ذى الرقم ٥ (الرسالة ٤٠١ ص ٢٩٢) قلت : وعذُر جمع عذير وقد جاء فى الشعر مخففاً . وقد استندت فى أمر التخفيف إلى الصحاح وغيره ثم وجدت فى المخصص (ج ١٣ ص ٨٢) : والعذير ما يحاوله الإنسان ويلزمه ، والعذير أيضاً الحال منه ، وكل ما يُعتذر عليه عذير والجمع عذُر ، وأنشد :

(وقد أعذرتنى فى طلابكم العذُرُ)

احتاج إلى تخفيفه ، هذا قول أبى عبيد وهو خطأ ، بل التخفيف جاء على اللغة التميمية

وقلت فى (حلّ فى مالى النزر) : حل فى مالنا النذر . وهى رواية الديوان وغيره ، ثم وجدت فى الخزانة (ج ٢ ص ١٦٤) حل فى مالنا النزر أى القلة

وفى القول ذى الرقم (٢٥) الرسالة (٤٠٢ ص ٣١٧) طارت قيس فى (التاج) والجملة هى هـذه : فى التاج : القطامى ويضم ، الفتح لقيس وسائر العرب يضمون

ويضاف إلى ما ذكره العلامة الأستاذ الأثرى وما ذكرته فى شأن الفتح والضم فى القطامى هذا القول فى (تهذيب إصلاح المنطق) ج ١ ص ١٨٦ فى باب الفُعال والفَعال : (وقَطامى وقُطامى للصقر) ، وهذا القول فى خزانة البغدادى (ج ١ ص ٣٩٢) : ... وله (أى عمير بن شييم) لقبان ، أحدهما القطامى منقول من الصقر ، يقال له قطامى بفتح القاف وضمها

(٧) فى معجم البلدان : قال الأسود : أخبرنى أبو الندى أن العرب سبعة أواسط : واسط نجـد ، وواسط الحجاز ، وواسط الجزيرة ، وواسط اليمامة ، وواسط العراق ، وقد نسيت إثنين

(٨) واسط مذكر معروف لأن أسماء البلدان الغالب عليها التأنيث وترك الصرف إلا منى والشام والعراق وواسطا ودابقا وفلجا وهجرا فانها تذكر وتصرف ، ويجوز أن تريد به (بواسط) البقعة أو البلدة فلا تصرفه (الصحاح)

(٩) الشنفرى الأزدى فى مفضلية وقبل ذاك البيت :

وأنى لمـــلو إث أريدت حلاوتى ومن إذا نفس العزوف استمرت

يكفي التراث الشرقي
لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين
للأستاذ عباس محمود العقاد

جرت في هذا المعنى وهذه مناظرة في كلية الآداب بين الأستاذ العقاد وفريق آخر من جهة، وبين الأستاذ الرافعي وفريق آخر من جهة أخرى. وقد نشرنا في العدد الماضي رأي الأستاذ الرافعي، وفي هذا العدد ننشر رأي الأستاذ العقاد

حضرات الإخوان والأبناء

كان من نصيبي في مناظرة هذه الليلة أن أؤيد الرأي القائل بأن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين

وقبل أن أدخل في تفصيلات هذا الرأي أسأل سؤالاً لا أنتظر عليه جواباً لأن جوابه معروف. وهذا السؤال هو: هل يستطيع أحد أن يقول بأن الشرق خلا من العقول الناضجة في العصور القديمة؟ هل خلا الشرق من الحياة العقلية الناضجة يوم أن كان التراث الشرقي هو التراث الذي لا تراث غيره؟

فإذا كنا لا نرى أحداً يستطيع أن يزعم ذلك فقد حكمنا بأن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية، لأننا إذا أنكرنا هذه الحقيقة وجب أن نقول إن الشرق خلا من العقول الناضجة قديماً وحديثاً؛ وهذا ما لم يقل به أحد من الشرقيين ولا من الغربيين. وأحسب أن مناظري المحترم أول من يشتد في نفي هذا الزعم لو جرى به لسان في هذا المكان أو في غير هذا المكان

* * *

وبعد فمن الواجب أولاً أن نعرف ما هو التراث الشرقي؟ ثم نعرف ما هو النضج العقلي؟ ثم نصل إلى النتيجة التي تؤدي إليها معرفتنا بهذا وذاك على وجه الضبط كما يقول الأدباء مقترحو المناظرة ...

فإذا تكلمنا عن التراث الشرقي أو التراث الغربي خرجت من حسابنا العلوم الطبيعية التجريبية أو العلوم التي اصطلحنا على تسميتها بالعلوم الحديثة؛ لأن الحقيقة من حقائق الحرارة أو الضوء أو قوانين الحركة أو خصائص الأجسام — هي حقيقة ثابتة في جميع الجهات الأصلية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً — بلا اختلاف. أو هي حقيقة إنسانية عالمية تتقرر في لندن كما تتقرر في القاهرة وبغداد، ولا يكشفها الإنسان حين يكشفها باعتباره شرقياً أو غربياً، أو باعتباره مولوداً في الشمال أو الجنوب، ولكنه يخترعها باعتباره إنساناً مدركاً لما حوله حيث كان. وإذا اتفق أن كثيراً من هذه الحقائق العالمية قد كشفها أناس من الغرب فليس معنى ذلك أنها خاصة بالغرب وأهله؛ إذ هي تتمة للحقائق الطبيعية التي سبقتها منذ بداية عهد الإنسان بالمعرفة، فهي جزء من التراث الإنساني لا مراء

ويخلص لنا من ذلك أن التراث الشرقي هو التراث الذي عليه صبغة الشرق وينتمي إليه ولا يمكن أن ينتمي إلى غيره، — وأن التراث الغربي هو التراث الذي عليه صبغة الغرب وينتمي إليه ولا يمكن كذلك أن ينتمي إلى غيره. أما العلوم الطبيعية فليست عليها صبغة شرقية ولا غربية، ولا مانع من أن يكون الإنسان شرقيّ التراث وأن يكون ملماً بالعلوم الطبيعية في وقت واحد. وعلى هذا كيف يتطرق إلينا الشك في أن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية عند ذويه؟ بل إذا كان التراث الشرقي وحده قد أخرج عقولاً ناضجة في جميع العصور، فكيف لا يخرج

واللقب الآخر صريع الغواني، قال القطاع: أول من سمي صريع الغواني القطامي بقوله:

صريع غوانٍ راقهن ورقنه
لدن شبّ حتى شاب سود الذوائب

وصريع الغواني لقب مسلم بن الوليد أيضاً لقبه هرون الرشيد بقوله:

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا
وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

قلت: أنا أنشد:

هل العيشُ إلا أن تروحَ أخا علاً
وتغدو خدينَ النُّبلِ والعلمِ والفضلِ

* * *

هـذه العقول إذا جاز أن يقترب بالعلم الطبيعي وما إليه من تراث الإنسان ؟

* * *

شيء آخر يجب أن يخرج من حسابنا إذا تكلمنا عن تراث الشرقيين وتراث الغربيين ، ونعني هنا المعارف الرياضية من هندسة وحساب وما هو من قبيل الهندسة والحساب ، فإن الحقيقة الرياضية لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا بتغير الأمم والأفراد . وليس من شأنها أن تصطبغ بالصبغة الشخصية أو بالصبغة القومية حيث كانت ، بل هي لا تتوقف على المشاهدات والمحسوسات بمقدار ما تتوقف على قوانين العقل المجرد المعزول عن خصائص الأوطان والأزمان . . . وأين هي الحقيقة الرياضية التي يصح على أي وجه من الوجوه أن تُسمى حقيقة يونانية أو مصرية أو صينية ؟ وأين هي الرياضة الشرقيـة أو الرياضة الغربية ؟ إذا قيل إن هذا قانون رياضي فقد قيل هذا قانون إنساني يملكه الشرقيون والغربيون على السواء ، وامتنع أن يتعارض هذا وما يُسمى تراثاً للشرقيين أو للغربيين

ومما تقدم يتبين لنا أن التراث الشرقي يجتمع مع العلم الطبيعي والعلم الرياضي في بيئة واحدة . ونعود فنقول مرة أخرى : إن أحداً لم ينكر أن العقول نضجت في الشرق على تراثه دون غيره ، فكيف ينكر أحد أنها قابلة للنضج إذا جاز أن تضم إليه العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية ؟

ونصل بعد هذا إلى النضج العقلي لنقول في التعريف به كلمة وجيزة تؤكد معنى ما قدمناه

فالعقل الناضج لجميع الملكات الناضجة والحواس الصحيحة إنما يتم له النُضج بالمرانة والمزاولة أيا كان الشيء الذي تقع فيه المرانة والمزاولة

فحاسة البصر مثلاً تستوفي حظّها من القوة بالنظر إلى الأشجار كما تستوفي حظها من القوة بالنظر إلى الصخور

وعضلات الجسم تقوى بحمل النحاس كما تقوى بحمل الحديد أو الفضة أو الذهب أو الجواهر الكريمة

والعقل يستوفي نضجه بأن يعمل ويفكر ويبحث فيما يراه ويحيط به ، أيا كانت المسائل التي يتناولها بتفكيره وبحثه

فالمهم في تصحيح الملكات والقوى العقلية أو الجسدية إنما هو في العمل والمرانة ، لا في الموضوعات والمواد التي يتناولها عمل العامل ومرانة المتمرن ؛ إذ هي في المنزلة الثانية من الأهمية . وقد يقوى النظر في الصحراء وهي خاوية أشد من قوته في المدن وهي آهلة حافلة ، مادام النظر في الصحراء عاملاً لا يكف عن الرؤية والانتباه

ومؤدى ذلك أن المهم في إنضاج العقل الشرقي أن يعمل ولا يكف عن العمل ، سواء كان موضوعه تراث الشرقيين أو تراث الغربيين

فإذا عمل فهو ناضج ، وإذا وجد مادة للتفكير فهو مفكر ، وإذا امتلأ بالإدراك فهو مدرك : أيا كان موضوع تفكيره وإدراكه

والمثل المحسوس هنا أحق بالتقرير من الآراء العامة والأحكام المطلقة ، فلنضرب الأمثلة بالأسماء المعروفة ولا نقصر القول على رأي مقنع أو حكم مسلم البرهان

فما القول في هارون الرشيد ؟ وما القول في ابن خلدون ؟ وما القول في جمال الدين الأفغاني ؟ وما القول فيمن سبقهم أو لحق بهم من « الناضجين » الأفذاذ ؟

أكان هارون الرشيد حاكماً ناضج العقل أو لم يكن كذلك ؟ وابن خلدون — ألم يكن مفكراً تاريخياً ناضج التفكير يقل نظيره في السابقين واللاحقين ؟

وهكذا يقال في جمال الدين الأفغاني وكل دراسته شرقية ، وكل ما استفاده من قليل الثقافة الفرنجية لم يؤثر في تكوين عقله ولا في طبيعة التراث الشرقي الذي نشأ عليه . فهم جميعاً أنضج عقلاً من التلميذ الحديث الذي يعلم من العلوم العصرية ما لم يكونوا يعلمون

هؤلاء ناضجون لا مراء ، وكانت لهم ومن حولهم حياة عقلية ناضجة لا مراء ، وكان التراث الشرقي هو التراث الذي عولوا عليه بغير التباس ولا مناقضة ، إذا جاز الالتباس أو جازت المناقضة في شئون الرجال النوابغ الذين يعيشون معنا الآن

* * *

والواقع — أيها الإخوان والأبناء الأعزاء — أن الشرقيين لا يمكن أن تنضج لهم حياة عقلية في غير تراثهم الذي ينتمي إليهم ويصطبغ بصبغتهم

فغير ممكن كما أسلفنا أن نجعل العلم الطبيعي تراثاً شرقياً أو غربياً بأية صفة من الصفات ؛ وغير ممكن كذلك أن نجعل العلم الرياضي تراثاً ينسب إلى الشرقيين أو إلى الغربيين

فلم يبق إذن إلا التراث الخاص بالشرقيين الذي لا يشاركهم في خصائصه مشارك من العالمين ، وهو التراث المشتمل على عالمهم من أشعار ومواعظ وأمثال وحكايات وآداب وقواعد سلوك ، وفي طليعته روح العقائد الدينية والحكمة النفسية والفكرية ، وما يصاحب ذلك من فقه شريعة ودين

وقد يسأل السائل في هذا المعرض : وما الرأي في الأشعار والأمثال والحكايات التي تنقل من الغربيين ، وهي تراث غربي لا نزاع فيه ؟

فجوابنا على هذا السؤال أن التراث الغربي الذي ينتقل إلى الشرقيين ينقسم إلى قسمين : القسم الذي يمكن أن يمتزج بحياتهم وهو من نوع تلك الحياة فلا يلبث أن يدخل في الشرق حتى يصطبغ بصبغته ويجري على سنته ، ومثله في هذه الخصلة مثل التفاحة الأمريكية التي تجري في دم آكلها من المصريين : هي تفاحة أمريكية ما في ذلك خلاف ؛ لكن الدم الذي يتولد منها في عروق آكلها دم مصري وليس بالدم الأمريكي أو الذي ينمي صاحبه إلى الديار الأمريكية

وفرق بين هذه الحالة وحالة النسب الذي يخلط الدماء بالدماء ويخرج لنا سلالة لا هي إلى هنا ولا إلى هناك

والقسم الآخر من التراث الغربي الذي ينتقل إلى الشرق هو القسم الذي لا يمتزج بحياة الشرقيين ولا يدخل لهم في عقل ولا روح . وهذا غريب عنهم وهم غريبون عنه . وحكمهم فيه حكم المتفرج العابر الذي يمر به وكلاهما باق حيث كان : هؤلاء شرقيون وذلك تراث غربي لا يدخل في عوامل النضج العقلي أو في عوامل التكوين ، سواء رجعنا فيها إلى الأفراد أو إلى الشعوب

ومعنى هذا أن الحياة العقلية إذا نضجت بين الشرقيين فهي شرقية لاحقة بالتراث الشرقي ، أيا كان المصدر الذي جاءت منه أو حملت عنوانه ، ولا يصح أن تنسب إلى غير الشرق إلا كما يصح أن تنسب دماؤنا إلى استراليا وأمريكا لأننا نأكل القمح الاسترالي والفاكهة الأمريكية في بعض الأوقات

وعلى أية حال ليس لنا مناص من إحدى اثنتين : إما أن نقرر أن الشرق خلا من الحياة العقلية الناضجة في جميع العصور وهو مخالف للمعقول ومخالف لإجماع الآراء ؛ وإما أن نقرر أن الشرق قد عرف الحياة العقلية الناضجة ولو في عصر واحد من عصوره ، وهذا في لبابه مرادف لقولنا : إن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية بين الشرقيين .

عباس محمود العقاد

صدرت الطبعة الثانية من ديوان الشاعر علي محمود طه

ليالي الملاح التائه

طبعة ممتازة من ثلاثة ألوان على ورق فاخر ونسق جديد

يطلب من جميع المكتبات الشهيرة بالقاهرة ومن مجلة الرسالة وفي الأقطار العربية من شركة فرج الله للسياحة

ثمن النسخة ١٢ قرشاً خلاف مصاريف البريد والنقل

وزارة المالية

مصلحة المناجم والمحاجر

ذكر مهواً باعلان المصلحة المنشور بالعدد ٤٠٤ من المجلة والخاص ببناء حوائط من الدبش والمحدد له جلسة ١٥ أبريل الجاري — كلمة « توريد » والصواب تلافي هذه الكلمة .

٢٩٠٨

الغناء والموسيقى
وحالهما فى مصر والغرب
للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ٤ —

ثلاث الكلمات التى تقدم إيرادها هى بيان وجيز للملاحظات على الغناء والموسيقى فى مصر والغرب ، يلاحظها كثيرون منا ، ولم يُقصد بعرضها جملةً سوى لفت النظر إلى ضرورة الأخذ فى إصلاح جدّى يقوّم من أود هذين الفنين وما يتعلق بهما عندنا . فإن استصوبها فنان محب لفنه ، وأحس بقدرة على شىء من هذا الإصلاح وتهيأ له ، فتوخاه ومهد سبيله ، كان له فضل الابتداء والسبق فى خدمة جليلة

والذى يجمل بذوى الهمة من الفنانين هو قبل كل شىء ، أن يحاولوا رفع ذلك الحجب المريض من حضيض ذله الذليل ، وأن يطيروه بأشعة البشاشة وروح المشاشة لعلهم يزيلون عن قلبه تسعة وتسعين فى المئة — على الأقل — من هذا الحزن الذى ران عليه ، وينقذونه من طوفان دمعه السخين ؛ والجمال ، بعد هذا الإسعاف ، واسع شاسع الأطراف : أفليس أمامهم حب الأحياء ، سعيدُه وشقيه ؟ وسائر الأحاسيس والخوالج كنز لا ينفى . لهم أن يختاروا منه ما يسهل وصفه : كألوان العواطف الوطنية والعائلية ، وكالحماسة والفرح وغيرهما ؛ وفى الطبيعة جمال مشرق باسم يمرح الشباب أمامه فى أحضانها ويلاعب ويداعب ، ويتهكم ويغاضب ، ويجالس ويؤانس ، ويتراقص ويتعاشق ، ويضنى ويطرب فى هناء وابتهاج . كل ذلك قد لا يتعذر على الفنان الحى تصويره بمنظوم شعره ومنثوره ، أو بألحانه ، أو غنائه ، أو موسيقاه ، إن هو اعتمد على بصيرته وبصره ، واستهدى شعوره ، وراد آفاق نفسه ، وطاوع وحى قلبه محترساً من تقليد سواه[1]

وإذا حل أن يُعبر للعامة عن أمثال هذه الموضوعات بالعامية فهل يحرم أن يُعبر عنها بالفصحى للصفوة المثقفة ، وبالفصيحة السهلة الواضحة للخاصة المتعلة على أن يكون الاتجاه بها إلى التعميم؟

والمأمول أن ترجح فى الغناء كفة ما كان من النثر والنظم شعراً ما دام مجرد استعمال الكلمات التى ألفها الشعراء : كالقمر والزهر والفؤاد والوداد والنيل والنخيل ، لا يردّ غثّ الكلام وسفسافه شعراً . وإن بين الناثرين والناظمين شعراء بصراء ، تُشعر أغانيهم بقدرة تمكّنهم من الإتيان بأغان تشعُرها ، لولا استقرار العادة على مراعاة التقاليد التى سلطها الجهل وضعف الطبع ، ولولا طلبات الملحنين والمغنين الخاضعين لأذواق الجمهور الفسيدة

أما الملحن ، فالنصيحة الخالصة له أن يوطّد العزم على نبذ العادة القديمة ومقاومة التقاليد السقيمة ؛ وأن يتحاشى عن نية تقليد الشرق والغرب على حدّ سوّى ، ولا سيما التقليد الأعمى من اقتباس عبارة صوتية معينة — مثلاً — يعجبه أسلوبها فيُقحمها فى لحنه غافلاً عن مدلولها[2] ، أو من مد مخصوص ، أو من تعمد التحزين الخارج عن الفن ، وما إلى هذه الأمثلة .

فإن كان صادق العزم ، فسبيله أن يطبّ نفسه أولاً من الذلة والخور والخنوع ، ويشفيها من داء الحزن العضال ، ومن التفجع المقيت والعويل الثقيل ؛ وأن يحررها من بدعة التخنث والتكسر

---

(١) جاء فى المخصص : « ينبغى أن توضع الألحان فيما شاكلها من الأشعار : فمنها ما يلى ويرقق ، وهو لما كان من الشعر فى النزل ، والتشوق إلى الوطن ، والبكاء على الشباب ، والرثاء والزهد ؛ ومنها ما يطرب ، وهو لما كان فى نعت الشراب ، وذكر الندماء والمجالس ، والصبوح والمساكر ؛ ومنها ما يشوق وترتاح له النفس ، مثل صفة الأشجار والزهر ، والمتنزهات والصيد ؛ ومنها ما يسر ويفرح ويحث على الكرم ، وهو لما كان فى المديح ، والفخر ، وصفة الملك ؛ ومنها ما يشجع ، وهو لما كان فى الحرب ، وذكر الوقائع والغارات والأسرى ، وغير ذلك ؛ وهذا كله يدعى غناء » . ج ١٣ ، ص ١٠ ، طبعة بولاق سنة ١٣٢٠ هـ .

نقلنا هذه الفقرة لبيان أن الشق لم يكن فى العربية ، عند المتقدمين ، إلا واحداً من شتى الموضوعات التى تناولها غناؤهم ؛ وكان لكل موضوع عندهم ما يلائمه من الألحان ، كما ترى ؛ وبديهى أنه ليس حتماً أن يكون كل التزل والتشوق إلى الوطن حزينا وأن يغنى بلحن يبكى .

(٢) فى المخصص أيضاً : للألحان لصوص يسرقون النغم كلصوص الشعر . فمن الشعراء المنتضح ، كالسارق للقصيدة والبيت كله ؛ ومنهم دون ذلك ، كالسارق للكلمتين والثلاث ، والسارق للمعنى يكسوه كلاما آخر . وكذلك المغنون : فمنهم السارق المنتضح الذى يسرق اللحن كما هو وينقله إلى شعر آخر ، كفعل الطنبوريين فى زماننا هذا وغيرهم من مقاربى أصحاب العيدان ؛ ومنهم من يسرق بعض اللحن بصفة له ، أو صيحة منه ، أو ردة ، أو نشيد ؛ ومنهم من تخفى سرقته ، مثل من يسرق تأليف لحن فى الثقيل الأول ، وينقله إلى إيقاع آخر إما ثانى ثقيل أو رمل أو هزج ؛ ومنهم من يجىء إلى ثلاثة أصوات أو أربعة فى الثقيل الأول على أصبع واحدة فيسرق جزءا من هذا ، أو صيحة من هذا وردة من هذا ، فيصوغ صوتا من أصوات » . ج ١٣ ص ١١

والتميّع ، ليخلص أولاً من كل هذه العلل الوبيلة التي مكنّها منه استحسان العامة وأشباه العامة . ومما يعينه على النجاة النزهة الخلوية ، والرياضة البدنية ، والمطالعات المنعشة ، والمصاحب المؤنس المفرح ، وإجالة الخاطر في الموضوعات الملائمة للغرض ، والإيحاء التلقائي .

والأجدى له في عمله هو أن يمعن في التفكير بادىء بدء في نحوى ما هو مقبل على تلحينه من الكلام ، وأن ينظر ملياً في جمله وكلماته وحروفه ، ليتبين الروح الذي أملاه ، والموقف الذي يصف ؛ ثم يتصور أنه هو في هذا الموقف ، وأن ذلك الكلام كلامه ؛ فإذا أرهف حسه ، وأيقظ ملكاته ، وهيأ نفسه وشعر بإبحائها وارتياجها إلى التلحين ، أخذ في الترنم بالأغنية ؛ ثم يكرر التغني حتى يجيء مدلول اللحن مطابقاً لمدلول الكلام المعبّر عن الحال النفسية التي استعارها لنفسه هو من الموقف الموصوف بالأغنية ؛ ثم يترك اللحن الذي وضعه أول وضع ، ويرجع إليه مرة بعد مرة لتهذيبه وإحكامه على مقياس تلك المطابقة ، لا ابتغاء جعله مشابهاً للحن آخر ، أو مرضياً لذوق خاص ؛ فيدع الصوت يعبّر التعبير الطبيعي ، ويطابق مقتضى المقام المدلول عليه بالكلام بما أنه قد تمهد اعتقاد وجوده هو في هذا المقام ، واعتقاد هذا الاعتقاد حتى استقر ما يفكره ونفسه في عقله الباطن (٤)

وأما المغني ، فسبيله أن يعمل في التدرب على غناء اللحن ما عمل صاحبه في إنشائه ، بعد أن ينفي عن نفسه ما استطاع من ذلك الحزن المميت وتلك الذلة الساحقة ، سواء أكانت تقليدية أم طبيعية ؛ ولا بد له من أمور منها :

أن يقضي مدة قبل مزاولة الغناء في تقوية صدره وتعميق نفسه ومدّه ، وإلانة حباله الصوتية ، والتمرّن على التنفس في الغناء ، حتى لا يقطع بقصر نفسه عبارة صوتية من لحن يغنيه ، وحتى لا يظهر أنه يختمها ونفسه وشيك الانقطاع ، لأن هذا يخدش أسلوب العبارة . ومن مقتضيات الإجادة أن يؤديها أحسن أداء ، ويختمها قادراً بما في نفسه من بقية وافرة ؛ وذلك كله وأمثاله طرائق وتمرينات معروفة

وأن يهجر الغناء إذا كان من ذوي الخنخنة ، ولا يغنّي مزكوماً أو متخوماً ، أو مخموراً

وأن يحرص في غنائه على نقاء صوته وصفائه ، فلا يسرقل جريانه بمثل قلبه الياء من حرف النداء همزة لينطق آ يدل يا ، أو بما يشبه مأمأة ، ونارة عواء ، أو ما يشبه عند الوقف شهقة الحمال حين يلقى حمله ، أو ما يماثل توجع المريض والجريح في تصويره ألم العاشق

وألا يقطّع صوته بالوقف إلا بالقدر الضروري لإحداث مزيّة ، كتنبيه المستمع إلى معنى الكلمة التي يقع الوقف على آخرها

وألا يطيل غناءه مستعيناً بغناء الجوقة معه ولا يكرر ذلك كثيراً ، وإذا غنّى معها فلا بد له من إظهار صوته على أصواتهم وأصوات معازفهم ، لأن الناس إنما يريدون سماع صوته هو ، وهذا غير الجوقة الغنائية (٥) ؛ لكن لا ينبغي له أن يعلو بصوته إلى طبقة لا يبلغها بغير عناء ، لأن أقله يعكّر صفاء صوته ويزيل رواءه ويعيب غناءه وإن أطرب في الطبقة التي يقدر عليها . من أجل ذلك يجب عليه أن يتخيّر من الألحان والأغاني ما يلائم طبعه ، وقوة صوته ، ونوعه

إن المتقدمين من أهل المدنية العربية ميزوا أصوات المغنين فقالوا مثلاً : أجشّ ومُجَلْجِل وكرواني ؛ والغربيون يميزونها فيقولون مثلاً : باس وتينور وكونترالتو وسوبرانو ؛ فلا يغني كل صوت إلا ما يلائمه من الألحان ؛ وظننا أنه قد آن لنا أن نبدأ هذا التميز مثل أصحاب الفن الصحيح

يحسن بمن يزاول فن الإطراب أن يعتبر بهذه الملاحظات ويتحرز من الخطأ الفني ويتحاشى العيوب المشار إليها في هذه الكليات وعن أمثالها ، كعدم إخراج الحروف من مخارجها بالدقة ، وعدم لفظ الكلمة واضحة . ومن الأصوات المسموعة في مصر ما يطرب ويمكن الافتتان فيه ، وبين الملحنين والمازفين مهرة ليس يستحيل عليهم التفوق على أنفسهم ، وإنما المعول كل المعول على فهم حقيقة الفن ومقاصده ، بدل القناعة بوسائله

ولسنا نقول إن المسلك الذي ننصح بسلوكه يغلب الوراثة وأثر البيئة واستقرار العادة ، فيغيّر الحال في الساعة ، لكنه مهما كان شأنه فهو مؤثر ، وعامل من عوامل التطور ؛ أو هو كالدواء الذي يوصف لذي علة لا يرء منها ، فقد لا يخلو من نفع للمعلول إذ الطبائع متفاوتة والشذوذ قد يوجد في بعضها ،

(٣) Autosuggestion
(٤) Le conscient dans l'inconscient
(٥) Chœur

ولأسرار الطبيعة مفاجآت ، ومحاولة الاهتداء خير من الاسترسال فى الضلال ، وكل ما يبلغ غاية ، له بداية

هذا وإن للقدمة الموسيقية تليها التقاسيم بالمعازف ، فالليالى فالموال فالأدوار ، نظام لا بأس به ؛ على أن تقديمه والتزامه فى كل حفلة لا يوجبهما الفن كما يتوهمون ، بل إن تحسينه واجب . ولم لا تقام حفلات كبيرة مخصوصة بالموسيقى وحدها وهى مطربة إذا جادت ، وفى البلاد ألوف المعازفين والمحبين لها ؟ وفى الغرب قاعات مخصوصات بها مشهورات تكتظ من المستمعين.

ولم يصغرون شأن البشرف والتوشيح فى حفلاتهم فلا يغنون هذا كله ولا يعزفون ذاك بأجمعه ؟ ولم لا يحاول أحد منهم أن ينشىء شيئاً يماثلهما ، أو يبتكر أنواعاً أخر إن استطاع ؟

إن موسيقانا لم تدرك شأو غيرها إذ عجزت حتى الآن عن التصوير (Harmoni) ، وليس يعقل أن التصوير مستحيل فى الموسيقى الشرقية ؛ لأن الموسيقى الغربية مثلها ، لها سلّم ومقامات ونغمات ، ولها الأقيسة الزمنية والإيقاع ، ولها الأساليب الصوتية تعبّر بها عن الأحاسيس تعبير الأساليب البيانية ؛ والأحاسيس جميعاً موطنها النفس ، وشأن النفس واحد فى الإنسان أينما كان ؛ والموسيقيان كاللغتين العربية والفرنسية ، مثلاً ، اللتين فيهما المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والمحسّنات البديعية ، وأوجه البلاغة ، لوحدة المصادر البشرية من الفكر والمخيّلة والمشاعر ، بل بينهما أوجه شبه فى النحو والصرف[٦] ؛ وقد كانت موسيقى الغربيين ومعازفهم بسيطة ، كموسيقانا ومعازفنا ، فتناولوها بالتحسين حتى ارتقيا إلى مرتبة التصوير الذى تفوقا به منذ عرفوا تركيب الأنغام فى زمن معاً ، أى فى إيقاع واحد[٧] ، وإخراج الصوت الآلى من طبقته الضعيفة ، أو من الجزء الضعيف فى زمنه[٨] ، وإنشاء الجملة الغنائية تسمع بُعيد الجملة الأساسية فى انسجام وائتلاف معها[٩] فأى شىء فى الموسيقى الشرقية يمنع من تقليد هذا الفن ؟ إذن لا يقول بأن التصوير مستحيل فيها إلا جهول كسول . والرأى للمشتغلين بالغناء والموسيقى عندنا أن يجدّوا فى ترقيتهما معتقدين أن الموسيقى ستبلغ ، أو سوف تبلغ ، مرتبة التصوير العالية ؛ وإذا اتجه نظرهم إلى مظنة وسيلة للترقية فتعرفوها واستخدموها ارتقوا بفنهم درجة ، وطمحت أبصارهم إلى ما فوقها

ونحن ، بحمد الله ، عندنا الناى كالفلوت ، والقانون كالبيانو (وقد استصنع بعضهم بيانو فيه ربع المقام « إيّاه » فصُنع) ، وطبلة كطبلة ، والكمان ، وفى وسع الموسيقيين أن يستعينوا الصناع على تحقيق أغراضهم بتحسين المعازف على الوجه اللائم لما يتفرسون من وسائل الإصلاح ، أو باستحداث ما يلوح من الآلات بدل ادعاء الابتكار والتجديد والتفوق بلا حق

فإذا نحن أردنا أن نخرج موسيقانا من حالها البدائية ، أو طورها الأول الذى ما برحت عارية فيه ، فلا بد من أن نأخذ فى نسج ثوب موشى لها — ثوب التصوير ، وهو غير التوافق بين الألحان وأصوات المغنين

ومتى تيسر التصوير ، وتميزت أصوات المغنين بحدود طبقاتها وألوانها ، وتبينت نسبتها إلى المعازف ، وبدأ التلحين يوحى النفس الحرة من التقليد ، الطليقة من قيد القوالب ، البريئة من السرقة ، أمكن أن يرتقى الغناء المسرحى بمصاحبة الموسيقى ، وأن يقدم أصحاب الفن وشعراء المسرحيات إلى الجمهور أوبريت ثم أوبرا — كوميك ، ثم أوبرا جيدة ليس شك فى أنها تطربه وتعجبه وإن لم يستسغ ماقدم إليه حتى الآن بهذا العنوان من خليط مستغرب ، ومسمى يتبرأ منه اسمه

وليتهم على الأقل يزيدون المعازف إلى ثلاثة أضعاف العدد المعتاد لكل نوع منها فى الجوقة ، ربما يهتدون إلى التصوير ، فإن ذلك يقوى العزيف فيحسّنه فيما نرى تحسيناً متواضعاً أفضل من لا شىء ، لكنه لا يكون من الإصلاح للنشود

ألا إن الجهل والاقتصار فى الاشتغال بهذه الفنون على استرزاقها لا يوصلان إلى شىء مما ينهض بها ؛ ونهضتها ، يوم يتحقق ، إنما يكون ثمرة التطور فى ضوء العلم والثقافة ؛ على

(٦) العربية والفرنسية من اللغات التى تتغير فيها صيغ الكلمات وأواخرها فى التذكير والتأنيث ، والجمع والتثنية ، مثلا تبعاً لوظائفها حين تركيبها فى الكلام

(langues à cas et déclinaisons) ؛ وفى اللغتين الاشتقاق (dérivation) ، وتصريف الأفعال (conjugaison) ، والماضى (prétérit) ، والمضارع (présent et futur) ، والأمر (impératif) وليستا من اللغات التى تجمع فيها أوائل الكلمات ، أو مقاطعها الأولى التى لاتتغير ، جمعاً لا تتعدد فيه كل الآحاد ، فيكون منها مركبات تعبر عن عدة علاقات كاللغة اليابانية (langues agglutinantes) . ويعرف ذلك كل من ألمّ على بعض الباحث فى مقابلة اللغات .

(٧) Contrepoint

(٨) Contretemps

(٩) Contre-chant

أن الأمة تتقدم إذا قام كل جيل من أبنائها بما عليه من حمل أعبائها مسافة على طريق الفلاح ؛ وكلما صح ذوقها ، ورق ودق ، يسمو مثلها الأعلى فى الفن . فعلى محبّي الغناء والموسيقى والتلحين ، المشتغلين بالفن من شبابنا المتعلم ، أن يتعلموا ولو مبادىء ما فى الغرب منه ، وأن يكثروا من الإصغاء إلى تحف الموسيقى والغناء لأعاظم الملحنين والموسيقيين الغربيين أينما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ؛ هذا إلى قراءة شىء من تاريخ الموسيقى وكلام نقادها فى إحدى اللغات الأجنبية ، وقراءة بعض المؤلفات العربية

لكن ذلك وحده لا يُسعف وليس يكفى الآن ، بل العمل المنظم فى هذا الزمن المستنير هو السبيل القصد إلى الغاية ، وفى مصر معاهد أهلية وحكومية للموسيقى يجب عليها أن تلتفت إلى حقيقة حال هذه الفنون عندنا ، وإلى ما يصلح من شأنها ، فذلك خير لها من أن تظل على الأيام صوراً جوفاء خاوية لا تصلح إلا لتمكين الفن السقيم الضعيف والمحافظة عليه ، ويجمل بالوزارة المختصة أن تعنى بهذا الأمر

يجب أن يحمل أرقى هذه المعاهد وأقدرها أعباء النهوض بفنونها ، وأن ينشئ لذلك قسماً مخصوصاً يهتم بها من الجهة الفنية النظرية ، والعلمية الثقافية ؛ وأن يقوم بشئون القسم نخبة من أصحاب الفن المولعين به لا يُعيّنهم لوظائفهم فيه سوى مؤهلاتهم الطبيعية والفنية والثقافية وقدرتهم على ما يُندَبون له نخبة ممن يطمحون إلى المنزلة الرفيعة والفضل فى إحياء فنونهم وإنهاضها فى الشرق برأسهم أحقهم بهذه الرئاسة ، ويجب أن يقتنى القسم مكتبة ينظمها التنظيم العلمى الحديث ، ويجمع فيها المطبوعات الغربية والمؤلفات الشرقية المطبوعة والخطية ؛ ويبحث فى كل مكان عن النصوص الشرقية الدفينة والضائعة ولو مترجمة إلى بعض اللغات الأجنبية كاللاتينية واليونانية والفارسية ، إذ قد يجد فيها ما يلقى ضوءاً على فنون المتقدمين فينير المنهج للمتأخرين ؛ ويشترك فى المجلات الفنية ، ويسترشد عند الحاجة بعض المعاهد الغربية المختصة بهداية السائل إلى جميع الكتب أو الطبعات أو النصوص فى أى موضوع يعينه [١٠] . ويجعل القسم بعض رجاله صلة بين جهده النظرى وجهد معهده فى انتاجه العملى . ويجب أن يقوم المعهد بنوع من الإرشاد والرقابة على سائر المعاهد ، وبإرسال البعثات المختارة من الناجحين فى الفنون الشرقية إلى المعاهد الغربية .

ولا بد ، أخيراً ، من التنبيه إلى آفة الغلو فى بذل الثناء لكل من هب ودب من الملحنين والموسيقيين ، وعلى ضرر نعته بأعظم النعوت ، كأن الناعت يريد إظهار شاعريته هو وبراعته البيانية فلا ينجح بمدحه عن الحقيقة . ذلك يضر حقاً ولو كان بحجة التشجيع أو تمجيد الأمة والوطن حتى لكأن البلاد تنبت النبغاء فى كل فتر من أرضها والعباقرة فى كل شبر ؛ فإن مثل هذا الغلو فى الثناء الكاذب يهزأ منه وليس من الحكمة ولا الوطنية فى شىء ، لأنه يثير فيعمى ويصم فيسبب الوقوف ، بل التأخر بدل التقدم ، وهو لا يصدر عن أهلية للتقدير ، وإنما يكون فى الغالب لأغراض بعيدة عن مصلحة الفن والأمة .

محمد توفيق السلحدار

(١٠) Instituts bibliographiques

وزارة الزراعة

إعـــــلان

تحيط وزارة الزراعة المصالح والجمهور علماً بأنه فقد دفتر تحصيل (استمارة رقم ٣٣ ع . ح) من نمرة ٤٦٨٠٠٦ إلى ٤٦٨٠٢٠ وهى غير مستعملة فكل من عرضت عليه أو عثر بأى طريق كان عليها أن يعلم أنه لا قيمة لها وأنها لاغية وغير معمول بها وليكن معلوما أنها إذا استعملت أنما يكون استعمالها من باب الاختلاس والتزوير مما يجعل مستعملها عرضة للمحاكمة جنائياً ومجازاته بما يقضى به القانون وقد نشر هذا الاعلان لئلا يجهل أحد ماتقدم . ٧٩٦١

قطط وكلاب وناس !

منظر كم تمنيت بعده أن لم تقع عليه عيناى ! ومع ذلك فقد لبثت دقائق كثيرة أحملق فيه وأطيل النظر ، كأنما وقعت منه على فرجة تبتهج لها النفس !

فى شارع كبير من شوارع هذه المدينة العظيمة : — القاهرة عين أفريقية وملتقى الحضارتين الشرقية والغربية — وقفتُ على مقربة من صندوق القُمامة ، فإذا بى أرى فى ناحية قططاً ثلاثة ، وفى ناحية أخرى كلبين ، وعلى قيد خطوة من هذه المخلوقات بنتين وصبيين وعجوز

وقفت أنظر ... فيالشناعة ما رأيت من منظر ، ويالهول ما جاشت به نفسى عن المعانى تلقاءه ! وإنى أعيذك أيها القارئ أن تستكثر علىّ استشعار الهول فيما رأيت ، وأن ترده إلى استغراق فى العاطفة يلحق بالضعف ؛ وإلا رميتك أنا بالقسوة ، وعندى أن القسوة هنا — على أى حال — إنما هى شر مما تزعم من ضعف .

راحت هذه المخلوقات الآدمى منها وغير الآدمى تنبش القمامة فتمد الكلاب والقطط أرجلها الأمامية وتمد الآدميون أكفهم حتى لتكاد تلتقى تلك الأرجل وهاتيك الأيدى كأن لا فرق بينها فى شىء

وجعلت أنقل البصر من القطط إلى الكلاب ومن هذه إلى البنتين والغلامين والعجوز وأول ما برز لى من المعانى هو صورة من تنازع البقاء فى هذه الدنيا لاحت بين أفراد كل فريق من جهة ، ثم بين كل فريق وفريق من جهة أخرى

كانت القطط تقوس ظهورها وتنفش شعورها وتخطف الطعام إحداها من الأخرى ، فإذا أرادت أن تختطف شيئاً من الكلبين دارت معركة قصيرة بين الفريقين ، فإذا زجر الصبيان الكلبين والقطط فى حذر وخوف ، جرت القطط فتربصت على خطوتين لتعود بعد لحظة ، واستعلن الشر فى وجهى الكلبين ، فتركهما الزاجرون من الآدميين ومضى كل إلى ما كان فيه من عمل . وكان يفرح هؤلاء التعساء من الآدميين إذا دارت المعركة بين الكلبين والقطط واستمرت لحظة طويلة ، فيكبون إذ ذاك فى عجلة ونشاط فى التقاط ما تنكشف عنه القمامة من بقايا الطعام ولقيمات الخبز وقشور الفاكهة وما إليها قبل أن يعود فيشاركهم فى التقاطها أفراد الفريقين الآخرين

وكان كل من الصبيين والبنتين والعجوز يزحم الآخر ويسابقه فى نبش كومة جديدة من الكناسة فإذا عثر أحدهم على لقمة كبيرة نوعاً لاح فى وجهه مثل ما يلوح فى وجه الباحث عن الذهب فى أرض الذهب إذا التمع فى عينيه عرق من المعدن النفيس ؛ ويقذف الصبى باللقمة فى حجره وقد زادها قيمة عنده أنها خلصت له من قرنائه ومن القطط الثلاثة ومن الكلبين

ومرت بى أثناء ذلك بعض السيارات الفخمة تحمل أناساً من سراة القوم ، ومن هؤلاء من لاحظت أن عيونهم رأت ما رأت عيناى إلى جوار صندوق القمامة ، ولكنى لم أتبين فى وجه من هاتيك الوجوه الناعمة الراضية أية اختلاجة من أسف أو من رثاء . أجل لم أتبين فى هؤلاء السادة «عبيطاً» مثلى يرى فى ذلك المنظر ما يستوقف بصره . وإذ ذاك ازداد رثائى ضعفين على أولئك التعساء الذين يشاركون الكلاب والقطط فى نبش الكناسة وليس يملك مثلى لهؤلاء إلا العطف والرثاء

ألا ليت أولئك السادة انتبهوا ففطنوا إلى أن هؤلاء الذين نزلوا إلى مستوى الكلاب ينتمون إليهم فى « آدميتهم » وأنهم فى هذا الوضع يشينون الجنس كله . ثم ألا ليت أولئك السادة تذكروا أن القليل مما ينفقون فى شهواتهم كفيل بأن يقضى على أمثال هذه المناظر إن كان يهمهم القضاء على تلك المناظر ...

آه ... ليت أولئك السادة حين تقع أعينهم على بنيهم وبناتهم إذ يلقونهم فرحين بما يتقلبون فيه من نعمة ، يذكرون أنهم رأوا بنين وبنات من تعساء الإنسانية تلتقى أيديهم الهزيلة بأرجل الكلاب والقطط فى نبش صندوق القمامة

الضعيف

إدارة البلديات — كهرباء

تقبل العطاءات بمجلس طنطا البلدى لغاية ظهر ٢١ يونيو سنة ١٩٤١ عن توريد عدادات كهربائية وأجزاء احتياطية لها وتطلب الشروط من المجلس نظير ٣٠٠ مليم .

٧٩١٣

لذكرى المولد النبوى

ميـــلاد نبي ...

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

مَنْ ذلكَ المَبعوثُ فى الصَّحْراء ... كالصُّبح بينَ جوانبِ الظَّلْماء ؟
نُورٌ مِن الحقِّ المُبين ومطْلعٌ ... جاءتْ به البُشْرَي معَ الأنباء
قبَسٌ من اللهِ الكريم وشُعْلةٌ ... من رحمةٍ ومنارةٌ لِضياء
يَجِدُ السُّرَاةُ به دَليلَ سَبيلِهمْ ... وَمَنارَهُم فى الظُّلمةِ العَشْواء
كانوا حَيَارَى ماتألَّفَ جَمْعُهُمْ ... فى عُصْبَةٍ أوْ أُلِّفُوا بإخاء
يَتَخَبَّطُونَ عَلَى ظلامِ حالكٍ ... جَهْمِ العواصِفِ مُظْلِمِ الأنواء
مافيه من وَضَحِ الطَّريقِ مَعالمٌ ... أوْفيه من هَدْيِ السَّبيلِ مَرَاءِ
هذا طريقُ الجاهليَّةِ لم يكُنْ ... إلاَّ طريقَ الخُلْفِ والشَّحناء
تَحدوهُمُ فيه نوازعُ فِتنةٍ ... ونَحْنُهُمْ فيه دَوَافعُ دَاء ...
هَذا طريقُ الجاهليَّةِ مُوحِشٌ ... ما فيه من نَبْتٍ ولا خَضْرَاء
يتعثَّر السَّارونَ فيه بخُطوَةٍ ... مَحْبوسَةٍ وَمَواطِئٍ عَمْيَاء
لا يَستقرُّ على المسيرِ قرارُهُمْ ... كيفَ القَرارُ عَلَى الطَّريقِ النَّائى
هذا طريقُ الشِّركِ مُختلطُ الصُّوى ... وَعْرُ المسالِكِ ضَيِّقُ الأنْحَاء
ما فيه من مَسْعًى بغيرِ تعثُّرٍ ... أو فيه من قَدَمٍ بلا إعْيَاء
يَمشى الحَيَارَى فيه بين مَسَارِبٍ ... مَطْمُوسَةٍ ومَعالمٍ نَكْرَاء
متحيِّرين على السَّبيلِ كأنَّهُمْ ... قَدْ مَسَّهم جِنٌّ مِنَ الصَّحْرَاء
شَاءٌ بِلا رَاعٍ يؤلِّفُ بَينَها ... وَرَوَاحلٌ تَمشى بغيرِ حُدَاء
أَيْنَ الدَّليلُ على السَّبيلِ يَسُوقُها ... وَيردُّ عَنها صَولَةَ الأعداء ؟

هَذا ظَلامُ الجاهليَّةِ لم يكنْ ... إلاَّ ظـلامَ الفِكر والآراء
أدْجَى من الليلِ البهيمِ حُلوكةً ... وَأشَدَّ وَقْمًا مِنْ يدٍ سَوداء
كانوا خَفَافيشَ الدَّياجي لم تَعِشْ ... إلا بجـوِّ حَالكِ الأرْجاء
يَمْشُون فى الجَهلِ القَديمِ قهائلاً ... يَتَرَسَّمُونَ به خُطَى الآباء
متفرِّقين هُنَاكَ ... لم يتفيَّأوا ... لخيلةٍ ... أو يُمسِكوا بِبناء
عَبَدُوا من الأوْثانِ كلَّ حجارة ... مَنْحوتةٍ أوْ صَخْرَةٍ صَمَّاء
وَأَدُوا وَلِيدَتَهمْ بغيرِ جَريرةٍ ... أرَأَيْتَ مَقْتُولاً بغيرِ جَزَاء
مَا ذنبُها حَتَّى يُعفِّرَ لَحْدُها ... برمالِ تلكَ الحُفرةِ الصَّفْرَاء ؟
لو أنها سُئِلتْ لَكانَ جَوابُها ... يُدْمِي القُلوبَ بأنفُسِ الرُّحَماء
إرْثٌ من الجَهلِ البغيضِ وفكرةٌ ... أدْلَى بهـا الآباءُ للأبْنَاء
الجهلُ رَقْطاءُ يُسَمِّمُ نَابُها ... كيفَ الحياةُ على يَدِ الرَّقْطاء ؟

وَبدا الصَّباحُ على بَطائحِ مكةٍ ... ضَاحى المشارقِ سَاطعَ الأضواء
يَمْشي إلى النُّوامِ فِي غَفَلاتهم ... وَيُنبِّهُهُمْ مِنْ هَجْعَةِ الإغفاء
يأيها النُّوامُ ... ! إن مَساءكُمُ ... قد غَيَّبَتْه جوانبُ البَيْداء
وَتحتَه كفُّ الله وهْي كفيلةٌ ... بالصُّبحِ وَاللَّمعَانِ وَاللألاَء
فى نُور (أحْمَدَ) منه نُورٌ ساطعٌ ... أكرِمْ بتلكَ الآيةِ البَيْضَاء
يَمْشى على ظُلَمِ الجزيرةِ ماحياً ... ظُلماتِ تلك الشُّبهةِ القَتْماء
الليلُ طال على الهجودِ فأبْشِروا ... بالفَجر بيْنَ سَنًى وبين سَنَاء !
هذا عَمودُ الصُّبح أبْلَجُ واضحاً ... يَمْشى بنور الحُجَّةِ الغرَّاء
هذا هو الحقُّ المُبينُ فلم يكُنْ ... خُدَعَ السَّراب ولا تَخَايلَ ماء
هو نعمـةٌ لله بين قبائلٍ ... ما كان أحْوَجها إلى النَّعماء
فَضْل تمثَّلَ فى ظهور (محمدٍ) ... واللهُ جمُّ الفضل والآلاء

هذا الصباح على الجزيرةِ مُشرقٌ ... فى كل رُكْنٍ منه لَمْحُ رَجَاء
قد آذنَ الليلُ البهيمُ بجَـلْوَةٍ ... وَانشقَّ عن صُبْحٍ بغيرِ خَفَاء
نُورٌ أضَاءَ الحقُّ فى جَنباته ... مُتألِّقِ النَّسَماتِ وَالأنْداء
تَنجَابُ عَنْ مَمْشاه كل دُجُنَّةٍ ... وَيغيبُ من مرآهُ كلُّ مَسَاء
تلك الأشعَّةُ من خِلالِ وميضه ... فيها لمرضَى النَّفسِ كلُّ شِفَاء
بُشراكُمُ مَرْضَى القلوبِ، فإنما ... جَاء الطبيبُ لكُمْ بخيرِ دَوَاء
هذا نبيُّ اللهِ أشْرَقَ بينكم ... وَأتَى لكُمْ بالوحْى والإيحاء
الله يُلهمهُ بكل كريمة ... وَيُمِـدُّه بالنَّصر والنُّصراء
هذا المبرَّأُ من عيوب زمانِه ... والخالصُ الخالِي مِنَ الأقذاء

دراسة اجتماعية لبعض قبائل السودان

في عصر يوم الخميس الماضي ألقى الأستاذ محمد جلال عبد الحميد في سراي الجمعية الزراعية الملكية محاضرة موضوعها « دراسة اجتماعية لبعض قبائل السودان » ، وهي ملخص لمشاهداته ودراساته العلمية أثناء رحلة استغرقت نحو السنتين بين هذه القبائل في السودان وأوغندا ، استهلها بنبذة قصيرة في تاريخ البعثات الإثنولوجية بالسودان وأواسط أفريقية فقال : إن البعثات في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر كانت جغرافية وعسكرية ودينية ، ولم تبدأ البعثات الإثنولوجية في تلك المناطق إلا في نهاية القرن الثامن عشر ، وآخر هذه البعثات هي التي قام بها هو في حوض النيل ابتداء من أكتوبر سنة ١٩٣٦ إلى ديسمبر سنة ١٩٤٠ ؛ فبحث فيها أولاً عن الريف المصري ، ومنطقة نيمولي ، والمنطقة الجنوبية من مديرية الجزيرة ، ومنطقة البحر الأحمر ، ومنطقة بلاد النوبة ؛ وثانياً عن الثروة العلمية لحوض النيل

ثم انتقل إلى دراسة البيئة الجغرافية وأثرها في السكان . ثم تكلم عن الأجناس البشرية ، ثم عن الحياة الاجتماعية ، ثم عن الحياة الدينية ، ثم عن الحياة الأدبية والفنية ، ثم عن النشاط المادي ؛ وختم المحاضرة بخلاصة لدراسة سكان حوض النيل من الوجهة العلمية ، وإمكان وجود قانون اجتماعي للتطور البشري ، وقد اكتفينا بسرد عناصر هذه المحاضرة القيمة اعتماداً على أن الأستاذ المحاضر سيرسل إلينا خلاصة وافية لها

وقد قدم المحاضر إلى الجمهور الدكتور محمد محمود غالي بهذه الكلمة :

عندما سمح سعادة فؤاد أباظة باشا لجماعة تبسيط المعارف أن يقوموا بإلقاء محاضرات في السراي الصغرى ، كان هذا كسباً لأعضاء هذه الجماعة ، وهذه هي المحاضرة الثانية يلقيها صديقنا الأستاذ محمد جلال عبد الحميد ، يحدثنا فيها عن شيء من بحوثه الاجتماعية عن قبائل نحيا في الحوض الطبيعي ذاته الذي نحيا فيه وعلى النهر العظيم الذي نعتمد عليه

كان يربطني بصديقي المحاضر ذكريات تجعلني أثق بشخصه وأنظر بعين الاطمئنان لبحوثه ، وإنني سعيد باهتمام حضرة صاحب السعادة أباظة باشا بشأن جلال ومعاونة سعادته له ودعوته إياه ، هذه الدعوة التي جاءت تكريماً لصديقنا العالم

رأيت المحاضر لأول مرة في باريس منذ عشر سنوات ، ولم تكن قد صقلته الأيام بعد ، أو غيرت فيه ما تلقنه من المجتمع أو المنزل أو المدرسة . دخل « السوربون » يتخبط كغيره ليعلم ما لا يعلم ، ويهضم ما يتعلم ، ويوازن بين ما كان يظن وما يجب أن يعلم ؛ ولم يكن لجلال معين يكفيه مئونة العيش ، فكافح للأمرين : كافح للكسب أولاً وللتعليم ثانياً . وظننت في وقت أنه سيخر صريع هذا الكفاح العنيف ، ولكنه كسب عيشه في باريس شريفاً ، وصرف ذلك من أجل ما هو أشرف : في الدرس

لم يَمشِ في الجهلِ القديمِ ولم يكُنْ ... من يَرمه في زُمرةِ الجهلاء

اللهُ صفَّاهُ لنُصرةِ دِينه ... واختارهُ لتحمُّلِ الأعباء

حَمَلَ الأذاةَ فكان أقوى عُدَّةً ... وأشدَّ مُصْطَبَرًا على الإيذاء

هـذا الوَفيُّ لربِّهِ ولدينِهِ ... هل يَنْجَحُ المسْعَى بغير وفاء ؟

يا مَن تَغُرُّهُمُ الحياةُ رخيصةً ... اللهُ في أخْذٍ وفي إعطاء !

هذا الفقيرُ أتى يقودُ جماعةً ... استعصمتْ منهُ بخيرِ لِواء

قُلْ للدليلِ بجاهِهِ وبمالِهِ ... المالُ ليسَ مُكوِّنَ العُظماء

هذا رسولُ اللهِ لم يَفقِدْ به ... عن مجدِهِ أن كانَ في الفُقراء

يا مُلْكَ قَيْصَرَ قد رُزِئتَ بحادثٍ ... ما شاهَدَتْهُ الرومُ في الأرزاء

ميلادُ (أحمدَ) كان مولدَ أمَّةٍ ... عَربيةٍ وشريعةٍ سمحاء

خرجتْ من الصَّحْراء أصْلبَ مكسراً ... كصلابةِ الأحْجار في الصَّحْراء

الرُّمحُ في يدها عَسيرُ المُلْتَوَى ... والسَّيفُ في يدها صَقيلُ الماء

كانَتْ أشدَّ على السَّلامِ رعاية ... وأشدَّ صبراً في رَحَى الهيْجاء

تَدْعُو إلى الإسلامِ كلَّ جماعةٍ ... وتُجيبُ في الإسْلام كلَّ نِداء

محمد عبد الغني حسن

والتحصيل . وعلمته الأيام كيف يتكون ، وكيف يكون رجلاً

جمعتنا مصر بعد فرقة ، وسعى إليّ يحدثني عما فعل ، وأي شرف ناله من هذا السعي ، وأي غبطة شعرت بها عندما تثبت الفروع التي نجح فيها ، وأي فرح غمرني عندما علمت أنه أصبح مبعوثاً لمعهد الأجناس الفرنسي لدراسة المناطق الإفريقية التي لا يقبل الكثير منا على ارتيادها ، ثم مبعوثاً لجامعة فؤاد الأول . عندئذ علمت أن الرجل قد تكوّن ، وأنه نال تقدير العلماء . بعد ذلك رحل وحيداً إلى قبائل (اللابان) وغيرها ، وعاد بعد غيبة طويلة ، ثم عرج إلى مناطق الحدود المصرية السودانية على ساحل البحر الأحمر . وها نحن أولاء نسترق من الصديق العالم ساعة قبيل رحلته التي سيقوم بها بعد يومين إلى بلاد النوبة

محمد محمود غالي

تعقيب على مقال

في المقال الذي نشره الدكتور زكي مبارك في العدد ٤٠٢ من الرسالة ، رداً عليّ ، مسألتان جديرتان بالتعقيب ، وهما :

١ — أن الدكتور قال : إنه قد عدى (حَرَم) بالحرف [أي من] في بعض تصانيفه ، وهو يتعدى بنفسه ، فاعترض عليه بعض أدباء الشرق ، فدافع عن هذه التعدية بأنه قد يرى المعنى في بعض الأحايين لا يؤدى تأدية صحيحة إلا إذا عبر عنه بتلك الصورة — وهو نفس الدفاع الذي اعتمد به الدكتور في تعدية (أمكن) باللام .

وأقول لحضرة الدكتور إن الفعل (حرم) يتعدى بمن أيضاً . وعندي شاهد لذلك عثرت عليه في بعض مطالعاتي للأغاني .

٢ — أن الدكتور ذكر في هذا المقال استطراداً أن الموازري بك كان كتب في مجلة المجمع اللغوي عن (نادى التجديف) بالدال المهملة ، فكان من رأيه أن (التجذيف) بالذال المعجمة ، قال الدكتور : وقد ناقشته يومئذ في جريدة البلاغ ، فقلت إن الشمراني في مؤلفاته يرسمها بالقاف ، فيقول : (التقذيف) الخ ما قال .

وأقول لحضرة الدكتور : إني رجعت إلى مجلة المجمع اللغوي ، فوجدت أن الموازري بك لا يقول شيئاً من ذلك ، بل رأيته قد خطأ التجديف والتجذيف والتقذيف . وقال إن الصواب هو : الجدف والجذف والقذف ، مصادر جدف وجذف وقذف . وبرهن على ما قال في بحث مسهب .

أقول : وأما أن الشمراني في مؤلفاته يرسمها بالقاف فيقول : (التقذيف) ، فالشمراني ليس بحجة . ولعله يحكي اللفظ الذي كان شائعاً في زمنه ، كما يقول المصريون الآن : (التجديف) . وليس بين معنى (الجدف) و(التجديف) صلة ، إذ (التجديف) هو الكفر بالنعمة .

ا . ع

نصيب السودان من جهاد الديمقراطية

جميل من مكتب الصحافة أن يطالعنا بأسماء أبنائنا الألى جادوا بالأنفس الموالي والمهج الغوالي في تدعيم أركان السلام ، سلام قوامه المبادئ الصحيحة والقوميات المعتدلة التي يهمها أن تبقى وأن تساعد الغير على البقاء ، وأن تعين الإنسانية على الخير والنماء

وجميل من مكتب الصحافة أن يسجل لنا والحرب دائرة رحاها أننا لم نكن في المؤخرة يوم أن حمى الوطيس بين الخير والشر . وجميل منه أن يبادر فيلبسنا تلك القلادة الفاخرة التي يشهد العالم أجمع أننا لم نرض أن يطغى الطغيان على هذا الكون فيسلب الإنسانية ويكبلها بأقسى القيود ونحن واقفون موقف المتفرج الذي لا يهمه الأمر ؛ بل قمنا بنصيبنا في حفظ تراث الإنسانية الخالد الذي قام على الفضيلة والحق والمساواة

أجل ! فليشهد العالم أننا قمنا بنصيبنا في حفظ تراث الإنسانية نصيباً بذلناه في سبيل المال على ما نحن فيه من عسر ، فهمتنا به إلى ما وراء البحار لنشعر أنفساً هنالك أننا لم نكن ناسين ما هم فيه ولا جاحدين ما يعملون . وليشهد العالم أننا قد قمنا بنصيبنا فقدمنا إلى الموت أنفساً عزيزة علينا في ذاتها عزيزة علينا لأن بلادنا في قلة منها ، بل وتشكو أرضنا الفاقة والبوار حيث لم تجد من يعمرها فيحببها ولا من يثمرها فينميها

قدمناها إلى الموت أنفساً كان في حياتها للبلاد نماء وثراء ، وقدمنا إلى الموت أنفساً كانت لأهلها أملاً ورجاء . وقدمنا إلى الموت أنفساً كانت للنزلاء عوناً وسخاء ولجاراتها ذخراً لدى البلوى وبهجة في الخير والسراء

قدمناها لتحمي ذمار الإنسانية ولياقي عدوها من أيدي أصحابها بلاء ونكالاً ما داموا أحياء ، وليبوءوا — إن ماتوا — ملطخاً بدمائهم وهي على وجهه عاراً ولأبنائه شناراً

أما هم ففي موتهم خلود ، وفي موتهم فخار ، وفي موتهم حياة . خلود لأسمائهم وبلادهم وحياة للانسانية الطاهرة التي لا ترضى أن تسود الفوضى ويتحكم الطغيان

ففي ذمة الله من مات وليم في خلده منعما بما حفظت له البلاد من يد هي سندها يوم أن تجلس الأمم لمطالعة الحساب وهي باقة

حقيقة لا تتغير بمظاهر انفعاله وإكباره ، وهي : أمثل ذلك الصنيع يلائم طبيعة الدين ويلائم غايته ؟ ولا شك أن يسر الدين وكونه قريباً من أفهام أكبر عدد ممكن من الجماعة البشرية من أهم خصائص طبيعته . ولا شك أن اقتناع الكثرة به واجتماعها حوله غير متفرقة ولا متحزبة لتأويل معين لحقيقة من حقائقه غاية رئيسية له .

فإذا كان تفلسف الدين إذاً يساعد على نمو طبيعة الدين ويساعد على تحقيق غايته ، كان من مصلحة الدين جَدْبُه نحو الفلسفة ، وكان من مصلحة شرح عقيدته بآراء الفلاسفة

* * *

دخلت الفلسفة الإغريقية بشرح رجال مدرسة الإسكندرية منذ عصر المأمون في ثقافة المسلمين ، وأحدثت على إثر دخولها تحولاً في نشاط المسلمين الديني والعقلي أساسه الميل إلى الفلسفة في إنتاجهم في هاتين الناحيتين . وكانت العقيدة الإسلامية أشد تأثراً بالفلسفة في نطاق الإنتاج الديني ؛ إذ من أهم ما تناولته الفلسفة بالبحث المبدأ الأول للكون، وصفات هذا المبدأ، ونشأة العالم المشاهد عنه ، والإنسان ومستقبله وغايته الأخيرة التي يرى فيها سعادته . ووضعت أمام العقل الإسلامي المشتغل بالعقيدة الإسلامية نظرية الواجب والممكن ، ونظرية وساطة العقل الفعال بين الله والعالم ، ونظرية الصورة والهيولى، ونظرية العقول المجردة، ونظرية فيض النفس الكلية على النفوس الجزئية ...

ولم يشأ العقل الإسلامي أن يعالج هذه النظريات في عزلة عن الدين ، ولا أن ينقدها — إذا نقدها — من غير رعاية للدين بل حاول جهد طاقته ، وبالأخص بدء اشتغاله بها ، أن يشرح بعض حقائق العقيدة بما ورد في الفلسفة من آراء لأنه جعل شعاره : « إذا انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال[1] » . إذ أنه يقول : « وهل الحكمة إلا مولدة الديانة ؟ وهل الديانة إلا متممة للحكمة ؟ وهل الفلسفة إلا صورة النفس ؟ وهل الديانة إلا سيرة النفس[2] ؟ » . وإذ أنه يقول : « لا خلاف بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة بأن غرض الشريعة هو غرض الفلسفة على الحقيقة[3] »

وقد كان للعلماء المسلمين بعض العذر في تحديد الصلة بين الدين والفلسفة الإغريقية بعد ترجمتها على هذا النحو لأن الفلسفة الإغريقية نقلت إليهم في ثوب ديني صوفي في كثير من نقطها ، نتيجة عمل رجال الإسكندرية ، ولأن منطق أرسطو الذي ترجم أولاً ، في عهد المنصور ، أحدث في نفوس المسلمين شبه يقين برجاحة العلم اليوناني وعصمة الحكمة اليونانية »

وتبعاً لذلك الشعار وهذا التحديد في الصلة بين الدين والفلسفة من العقل الإسلامي ، أصبحنا نرى علماء العقيدة يستدلون على منابرة الله للعالم بنظرية الواجب والممكن التي أسسها أرسطو على نظامه الفلسفي في الصورة المحضة والمادة المحضة ، والتي استنبعت مما استنبعت من صفات، وحدة الوجود الواجب بمعنى عدم تعدد ذاته وعدم تركب ذاته الواحدة من أجزاء . وقد بنى فريق من المسلمين على مبالغته في إثبات الوحدة نفي صفات البارى ، كلها أو الكثير منها ، لأن إثباتها — في نظره — يقتضي التعدد . وسلك فريق آخر من الراغبين في إثبات الصفات ، تمشياً مع ظاهر القرآن ، وفي الوقت نفسه من الحريصين على نفي ما يوهم عدم الوحدة طريقاً هو أقرب إلى التلاعب بالألفاظ منه إلى الإتيان بنصيب إيجابي جوهري في حل هذا الإشكال . فقال : « الله له صفة كذا ... وهي عين ذاته »

كل هذا بعد أن كان المسلم ، وبعد أن كان في استطاعة كل مسلم كذلك أن يفهم ، أن المعبود غير متعدد لا شريك له ، وأنه غير ما في الكون من مخلوقات إذا تليت عليه آيات ربه الداعية إلى التوحيد وعبادة الخالق مثل قوله تعالى : « وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » . وبعد أن كان يكيفه في إثبات هذه الدعوى مثل قوله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »

تبعاً لذلك الشعار أصبحنا نسمع لأبي الهذيل العلاف من شيوخ المعتزلة رأياً في أن كلمة التكوين (قول الله للشيء : كن) التي تعبر عن الإرادة الإلهية حادثة لا في محل ، وأن الإرادة تغاير المريد والمراد . وعلى هذا فكلمة التكوين في المكان الوسط بين الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق الحادث . وهذه الكلمات

(١) مقابسات أبي حيان التوحيدي ص ٤٥ ، المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٩ (٢) المصدر نفسه ص ٢٠٠

(٣) الفصل في الملل والنحل ص ٧٩

المعبرة عن الإرادة الإلهية هى بمثابة جواهر بسيطة تشبه المثل وعقول الأفلاك

يقرأ الكثير من المسلمين لأبى الهذيل العلاف هذا الرأى ولكن الذى يفهم المراد منه قليل ، وهو الذى يعرف المثل ، ويعرف لأى غرض وضع أفلاطون نظرية المثل ، ولماذا كان القول بالوساطة بين المبدأ الأول (الله) والعالم ؟ بينما المسلم إلى عهد الترجمة كانت نفسه مطمئنة إلى الإيمان بخلق الله للعالم على أية كيفية ، وكانت حرارة هذا الإيمان تمعر قلبه فأنتج وساد ، وبينما كان لا ميزة لأحد على غيره فى تصور تأثير الله فى العالم ، ولا مختصاً بسر من أسرار هذا التصور .

تبعاً لذلك الشعار أصبحنا نرى الملائكة تحدد بأنها (جواهر بسيطة ، عقلية ، علاّمة ، فعالة ، وبأنها صور مجردة عن الهيولى مستعملة للأجسام ، مدبرة لها ، ومنها أفعالها [٤] . كما وجدنا هذا التحديد يتخذ أساساً من أسس الإيمان (والثانى من الأمور التى يضعها واضع الشريعة — فى نظر إخوان الصفا — ثم يبنى عليها سائر ما يعمل أن يرى ويتصور موجودات عقلية ، مجردة من الهيولى ، كل واحد منها قائم بنفسه ، متوجه نحو ما نصب له من أمره وهم ملائكة الله تعالى وخالص عباده [٥] .)

فما معنى الجوهر ؟ وما معنى بساطته ؟ وما معنى كونه عالمّة ؟ وما معنى كونه فعالاً ؟ وما معنى الصورة ؟ وما معنى تجريدها عن الهيولى ؟ وعلى أى كيفية يكون تدبيرها الأشياء ؟

لا شك أنها معانٍ لا تفهمها إلا قلة من الخواص فضلاً عن أن تفهمها عامة المسلمين . ومع هذا طولبوا بالإيمان بها فى نظر فريق من علماء المسلمين فى نظر إخوان الصفاء

تبعاً لذلك الشعار رأينا الشريعة الإلهية تحدد « بأنها جبلة روحانية ، تبدو من نفس جزئية فى جسد بشرى ، بقوة عقلية ، تفيض عليها من النفس الكلية ، بإذن الله تعالى ، فى دور من الأدوار لتجذب النفوس الجزئية ، وتخلصها من أجساد بشرية متفرقة ليفصل بينها يوم القيامة [٦] »

لماذا وجدت النفس الكلية ؟ ولماذا كانت المصدر المباشر للفيض ، أو كانت القوة التى تتولى نقل الأثر — وهو الإيجاد — من الله إلى هذا العالم ؟ وما معنى جذب النفوس الجزئية إليها ؟ لا شك أنه لا سبيل إلى فهم ذلك إلا لمن اطلع على فكرة النفس الكلية فى الأفلاطونية وفى الرواقية وفى الأفلاطونية الحديثة ؛ وعلى فكرة جذب « الصورة المحضة — للهيولى » فى رأى أرسطو

تبعاً لذلك الشعار ، رأينا الجنة تفسر بأنها عالم الأفلاك والعقول المجردة ، والنار تفسر بأنها عالم ما تحت فلك القمر ، وهو العالم الأرضى عالم الكون والفساد . ورأينا الشهداء الذين ذكرهم الله فى قوله تعالى : « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » تعلل تسميتهم بالشهداء لمشاهدتهم تلك الأمور الروحانية المفارقة للهيولى .

* * *

هذا مثال من صنيع العلماء المسلمين بالعقيدة الإسلامية بعد دخول الفلسفة الإغريقية ، وبعد رغبتهم فى شرحها بالفلسفة ، وفى تفلسفها

والعلماء الحديثون الفلسفون ينهجون نهجهم فى تفلسف العقيدة ، ولكن فقط يستمدون شرحهم الفلسفى من نظريات العلم التجريبى التى تطبع العصر الحاضر بطابعها الخاص ! وقد يستمدونها أيضاً مما بقى لدى أصحاب العلم والحضارة اليوم ، وهم الأوربيون ، من الآراء الميتافيزيكية والأقوال الروحية . وأثر صنيعهم فى العقيدة لا يقل عن أثر ذلكم من قبل

فنرى بعضهم يحاول تحديد الروح ، وهى التى اختص بها علم الله « ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » بما يسميه أدلة حسية (تجريبية طبقاً لطابع العصر العلمى) فيقول : « إن الروح وإن كانت أمراً إلهياً لا يدرك لها كنه ، إلا أن لها جسداً أثيرياً على صورة صاحبها ، غاية فى اللطافة ، لا يعتريه البلى ولا التحلل ، فى قدرتها أن تستبدل مادة من الخارج وأن تظهر بصورة صاحبها فى أحوال خاصة ، ويكون صاحبها إذ ذاك واقعاً فى غيبوبة [٧] »

ونرى تعليقاً من أحد هؤلاء المعاصرين على رأى « لأحد أقطاب الفلاسفة العصريين » يذكره على هذا النحو : « هذه محاولة فلسفية تعتبر أبدع ما أنتجته الفلسفة العالية إلى تأييد الكتاب المجيد . أليس كل ما فى هذا البحث الجليل — وهو

(٤) إخوان الصفاء حـ ١ ص ١٨٠
(٥) المصدر السابق حـ ٤ ص ١٨٣
(٦) المصدر السابق حـ ٤ ص ١٨٢

(٧) مجلة الأزهر ص ٦٢٥ حـ ١٠ من المجلد الحادى عشر

« راشد ! من راشد هذا ؟ » . وكان يشعر شعوراً باطنياً بأنه لا يسمع هذا الاسم لأول مرة ، وكأنما سبق أن آذى مشاعره . وأسند جبينه إلى كفه وأغمض عينيه ، وكأن صاحب هذا الاسم يعيش في الظلام ، فقد رآه وعرفه ، وأحس لذلك رجفة تسري في مفاصله ... راشد أمين أو أمين راشد — لا يذكر — شاب نافسه في طلب يدها على عهد خطبته لها ، ولولا أن والدها فضله هو واختاره لكان قد تزوج منها . وقد تذكر أنه رآه مرة وإن كان لا يحفظ من صورته أي أثر ؛ ورفع رأسه مرة أخرى ونظر إليها بعينين مرتابتين لا تصدقان ؛ ورغب رغبة حارة في أن يستزيدها ويستوضحها ، ولكنه لم يدر كيف يحثها على الكلام ، ورأى شفتيها تتحركان في ضعف ؛ فدنا من حافة سريرها وأرهف السمع وكتم أنفاسه وهو يعاني جزعاً مجنوناً فسمع صوتها يقول فيما يشبه الأنين : « من يقول هذا ... أف ... والخيانة ... راشد ... صابر ... الخيانة شيء قذر ... » فشبك كفيه وشدهما على صدره بحالة عصبية كأنما يضرع إلى شيء مجهول أن يمنع كارثة على وشك الوقوع ، وذهل بصره من طول الجمود على وجهها ، فغاب عنه ما حوله ، وكبر الوجه في وهمه حتى ملأ الفراغ الذي أمامه فثقل عليه وسجج ، ودوى صدى صوتها في أذنيه ، فصار كطنين لا ينقطع ، وثقل تنفسه ويبس حلقه ... ما هذا الذي تتكلم عنه ؟ ! ما هذه الخيانة التي أطلق الهذيان عقدة كتمانها فانطلقت خبيثة منكرة أنكى من الحمى ؟ ! هل يكذب الهذيان ؟ كيف يكذب الهذيان ؟ ! ولكن كيف يصدق أذنيه وما بذل زوج لزوجه عشر ما بذل من الرقة والمودة ، وما بذلت زوجة لزوجها عشر ما كانت تبذله له من الصفاء والإخلاص ؟ فكيف انطوى هذا على أقذر ما تبتلى به الضمائر والنفوس ؟ رباه ... إنها تقول إن الخيانة شيء قذر ، وإنها لكذلك ، ولكن لا يفزع في هذيانه من قذارتها إلا من انتمس في بؤرتها . رباه ... لقد ظن أن ما ابتلي به من مرض زوجه أقسى ما ابتلي به إنسان ، فإذا به بلاء هين عابر ، لا يقاس بما هتك الهذيان أستاره ، وأحس اليأس يحبس أنفاسه ، وكان صابر دمث الأخلاق ، لين الجانب رقيق الحاشية ، لا يدفعه الغضب إلى الانفعال الشديد والعدوان ولكنه يشل حركته ، ويعطف اندفاع أعصابه إلى صميم نفسه ، فيجعله كسيارة يدفعها محركها ، وتقيد الفرملة عجلاتها ، ولكنه بالرغم من هذا ، تحولت رأسه بحركة عصبية إلى سرير الطفلة ، وبرح فراشه في سكون ، ودنا منه وأزاح ستاره ، وألقى نظرة غريبة على الوجه الصغير المدمج القسمات وأدام إليه النظر والشك والألم يأكلان قلبه بقسوة ، ثم تحول عنه إلى وجه زوجه كأنه يسألها ويستوضحها ، ودنا من فراشها كالسائر في نومه حتى التصق به وكانت منمنمة العينين بادية الاصفرار والخور ، تقلب رأسها ذات اليمين وذات الشمال ، فألقى عليها نظرة جامدة ، جرى فيها بريق القسوة جريان البرق في السحاب الداكن ، وكان قبل لحظات إذا وقف موقفه هذا اضطرب جسمه من الحنان والرحمة ، ودمعت عيناه ، ولكن قلبه تحجر هذه المرة قال عليها حتى نسمت عيها أنفاسه وسألها : « نعيمة ... نعيمة ... ماذا فعل راشد ؟ » فلم تنتبه إليه ولم تصح ، فرفع صوته وناداها وهو لا يدري : « نعيمة » فبلغ صوته مسمعي أمها في الحجرة القريبة . وقامت المرأة من فراشها مضطربة وهي تظن الظنون وهرعت إليه متسائلة : مالها ... هل أعطيتها الدواء ؟ ولم يكن أعطاها شيئاً ، وكان يريد استبقاء حالة الهذيان التي تعانيها ليستنطقها ما يريد فكذب عليها قائلاً في استهانة وقسوة : « نعم وهي بخير والحمد لله » وعاد إلى فراشه وأسند رأسه المتخن بالجراح إلى الوسادة ليتخلص منها ، ولبثت حماته قليلاً . وفي أثناء ذلك أخلدت المريضة إلى الهدوء والسكينة كأنما راحت في نوم عميق فبرحت المرأة الغرفة وكان يتشوق إلى إيقاظها ولكنه خشي التي في الخارج ، فمضى بقية الليل مفتوح العينين محموم الرأس بالأخيلة الشيطانية وعيناه زائغتان ما بين فراش المريضة ومهد الطفلة

وحين سفور الصباح عاودت اليقظة المريضة وبدا عليها أنها لا تحس شيئاً حتى امتدت عيناها إليه فدبت فيها حياة ضعيفة وقالت بصوت غدا من وهنه كالصفير « ما الذي أيقظك ؟ لماذا ترهق نفسك هكذا ؟ » فرد عليها بنظرة جامدة وكانت تبدو ذلك الصباح أشد هزالاً وشحوباً ، ولاحت في عينيها نظرة الوداع المخيفة ، وكان يشغل باله شيء واحد أمهده الليل ولم يجهل أن إثارته خطر يهدد بالقضاء عليها ، ولكنه لم يحس سواه ولم يبال غيره ، وكان يشعر نحوها ساعته بحنق وكراهية ورغبة في الانتقام فقال بلهجة جافة : « تكلمت الليلة الماضية كثيراً ، فشرقت وغربت ، وأجرى الهذيان على لسانك كلاماً يحتاج إلى إيضاح » فلم تفهم شيئاً ونظرت إليه بعينين لا تعبران عن شيء سوى الذهول المطلق ، وأراد أن يسترسل ولكن منعه عن

الاسترسال صراخ الطفلة فجأة ، فما لبثت أن هرعت إلى الحجرة حماته والمرضعة فنكص على عقبيه مغضباً وهو يقول لنفسه : « الطفلة الملعونة تدارى فضيحة أمها وأبيها ! » . وغادر البيت يهيم على وجهه ومضى يحدث نفسه : « كان ينبغي أن أعلم كل شيء وقد أتيحت لي فرص ، لماذا أفر من صراخ الطفلة ؟ أو من ظهور جدتها ؟ الحقيقة أني ضعيف ... ضعيف ... دائماً يندى قلبي بالحنان وبالعطف ، فما كان أجدر بي أن أكون ممرضة ... أما رجلاً فلا ... لست رجلاً ولست زوجاً ... فأمثالي نساء كاملات ، أو رجال مغفلون ... ومع هذا هل أنا في حاجة إلى دليل جديد ؟ دمرت حياتي وانتهى كل شيء »

وقضى النهار ضالاً لا يقر ، يترد الألم في صدره مع أنفاسه ، وعاد مع الأصيل إلى البيت فوجدها أسوأ حالاً وأشد هزالاً . وأقبلت عليه حماته تسأله أين كان ، وتقص عليه ما قاله الطبيب ، فلم ينفذ شيء من قولها إلى صدره وعاف الرد عليها بتاتاً ، بل لقد أن تقول إن الحالة سيئة ، فلتتألم كما يتألم ، ولكن كيف يفهمها أنه يعلم كل شيء ؟ كيف يحادثها في هذا الموضوع الخطير وأنها لا ترضى بمفارقتها في مثل تلك الحال الخطيرة ؟ ... واشتد به الخنق ، فاعتزم أن يمنع عنها الدواء ليعاودها الحذيان سريعاً فيسمع منه ما امتنع منه سماعه في اليقظة ؟ وملأ الفنجان ماء خالصاً ووضعه على فم المريضة فازدرته بامتعاض ... وعاد إلى فراشه يرقب الغرسة ، ولكن زوجه لم تنم في تلك الليلة ولم تهدأ واشتد عليها الألم الموجع فباتت تئن وتشكو وتضطرب. واستدعى الطبيب عند منتصف الليل فعاينها ولكنه لم ينصح بشيء ، وهمس في أذنه بأن الحالة جد خطيرة ... وبعد هذا التصريح بنصف ساعة احتضرت المريضة وفاضت روحها

وخلا إلى نفسه ، وكان الذهول مطبقاً على حواسه جميعاً ؛ لأن الموت والخيانة الزوجية انتظما تجارية الشخصية معاً في ساعة واحدة دون عهد سابق بهما . وماتت نسيمة ولم يحزن لموتها ، ولكن حادثة الموت أذهلت نفسه الرقيقة المرهفة ؛ على أن الحقيقة لم تغب عنه فقال : « لم تمت كما يظنون ... أنا قتلتها ... قتلتها لأني منعت عنها الدواء ليلتين متواليتين هما أشد ليالي المرض ... فأنا قتلتها ... » وجعل يردد « أنا قتلتها » . فكان يشعر لما يقع غريب في نفسه يمتزج فيه الخوف بالارتياح ثم قال مرة أخرى : « وقتلتني هي حياً ، وألصقت إسمي قسراً بطفلة إنسان سواي ... ولكني قاتل فلست إذن مغفلاً » . وأسند رأسه إلى يده وراح في تأمل طويل وقد سرت في جسده قشعريرة البرد والخوف

* * *

كيف انقضت الأيام التي أعقبت الوفاة ؟ ... إنقضت في ألم وقلق ومخاوف لا يمكن أن تتمثل لعقل إنسان ، ثم أعلن عن رغبته فجأة في السفر إلى لبنان انتجاعاً للصحة والراحة ، وكان في الحق يفر من أفكاره وطفلته . ومضى إلى الأسكندرية واستقل السفينة ، والظاهر أن نفسه الرقيقة تمرضت في البحر لأزمة عنيفة هدت كيانها وأتلفت أعصابه ، فاستشعر اليأس من الدنيا جميعاً وألقى بنفسه في اليم خلاصاً من عذابه وآلامه ، محتفظاً بأسراره لقلبه ولبطون الأسماك ...

وكان يترحم عليه المترحمون فيقولون : « ما رأينا إنساناً يحب زوجه كالمرحوم صابر ، فلا هو صبر على فقدانها ولا احتمل الدنيا بعدها فقضى على نفسه بعد موتها بأيام ... رحمهما الله ! »

نجيب محفوظ

مجلس مديرية الغربية

يعلن عن خلو وظيفة مساعد صيدلي بمستشفياته الجراحية في آخر يوليه سنة ١٩٤١ ويشترط فيمن يتقدم أن يكون حائزاً على شهادة مساعد صيدلي من القصر العيني ومارس المهنة لمدة ثلاث سنوات على الأقل بالمستشفيات الحكومية والتعيين في هذه الوظيفة بعقد وبأول مربوط الدرجة ١٥/٨ج وتقدم الطلبات للمجلس على الاستمارة رقم ١٦٧ ع . ح مصحوبة بالشهادات الدراسية وشهادة الميلاد في ميعاد غايته ١٥ (خمسة عشر) أبريل سنة ١٩٤١ ٧٩٨٨

مطبعة الرسالة — ٨١ شارع السلطان حسين عابدين . القاهرة